المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السادس بعد المائة

١ مايو سنة ١٩٤٥ — ١٩ جمادى أول سنة ١٣٦٤

المشكلة الاقتصادية الكبرى

في التسوية العالمية بعد الحرب

سوف تخرج قارة اوربا ، من محنة الحرب العالمية الثانية ، وقد تصدّعت أركان حياتها الاقتصادية . فليس في التاريخ ذكر حرب خلفت وراءها من الدمار ما خلفته هذه الحرب في أوربا . فأسباب المواصلات ممزقة ، ولقد تجد الفحم وخامات الصناعة فلا تستطيع أن تنقلها إلى المصانع . وقد ترى منتجات المصانع ومقادير الطعام مكدسة فلا تستطيع أن توصلها الى المستهلكين . والمصانع نفسها أنقاض . وكذلك محطات توليد الطاقة المحركة والمضيئة والجسور ومنشآت المرافىء ، وجانب كبير من الاراضي الزراعية ، تركتها الحرب كالقفر اليباب ، والناس أنهكتهم الحرب وأجاعتهم وأمرضتهم . فتعمير أوربا أمرٌ لا مفرّ منه منعاً للفوضى أن تعصف بشعوبها . وتعميرها يجب أن يخضع — في رأي ثقات المفكرين — لقاعدتين . أما الأول : فأن يكون التعمير ملازماً ومؤيداً للتنظيم السياسي والحربي ، الذي عرضه أن يحول دون قيام قوة النازية الحربية مرة أخرى ، وأما الثانية : فأن يكون أساساً يصلح لانتعاش الحياة الاقتصادية انتعاشاً يتيح لشعوب اوربا أن ترفع مستوى معيشتها رفعاً مطرداً ، ويضمن لها رخاء العيش ورضى النفس .

والقاعدتان متلازمتان ، لا ترجح إحداها الأخرى . فان لم تحقق القاعدة الأولى لم تطمئن النفوس الى سلامتها ، ولا انتعاش اقتصادي بغير هذا الاطمئنان . ولن لم تحقق الثانية ، تأصلت القوى الاجتماعية التي تنخر في جذور الحياة الدولية وتمهد الحرب .

الضائقة الاقتصادية من ناحية ، وعدم الاطمئنان إلى أسباب العيش ، هما خير تربة تنبت فيها بذور الحرب . وسوف ينتهي احتلال المانيا العسكري يوماً ما ، ويومئذٍ يتقلد الالمان زمام أمرهم ، ولكن هذا لا يحتمل أن يتم ، ولا يقدر له النجاح بعد أن يتم ، إلا إذا قام في أوربا بناء اقتصادي سياسي ، سليم مستقر ، يستطيع الشعب الالماني ، أن ينطوي فيه انطواء رضى ومشاركة . وليس الخطر في أوربا قاصراً على خطر انبعاث القوة الالمانية وحسب ، لأنه إذا تعطل ملايين عن العمل ، وأخذت الضائقة بخناق الملايين من الناس ، فلا بد أن تعمد أمة ما ، أو مجموعة من الامم إلى أن تطلب الخلاص من طريق الحرب . فناحية الانشاء في التسوية الأوربية لها من خطر الشأن ما لناحية الأمن وصونه بالقوة .

وقد انحصر جانب من البحث ، في الوسائل الاقتصادية اللازمة ، للقضاء على أصول قدرة المانيا الحربية . واختلفت المقترحات ، من تدمير الصناعة الالمانية ، إلى تجزئة المانيا في الناحية الواحدة ، الى الحد من بعض صناعاتها التي لا بدَّ منها لشن الحرب . ومعظم هذه المقترحات ، لا يقوم على أصول من الواقع المعروف ، أو المستقبل المأمول .

في المقترحات ، المسندة الى مورجنثاو ، وزير مالية الولايات المتحدة ، يتلمس الرأي في القضاء على المانيا من حيث هي أمة صناعية . وهذا الرأي إذا صحَّ وتمَّ ، يعني أن يزداد عدد الذين يعيشون على الزراعة في المانيا ، من خُمس الشعب الى نصفه ، فترجع المانيا القهقرى الى ما كانت عليه منذ قرن ، حين كان عدد سكانها نصف ما هو الآن ، ويهبط مستوى العيش فيها . وأما مقترح تجزئة المانيا ، دويلات دويلات ، فلا يشجع على الأخذ به ، ما صارت اليه الدويلات التي قامت على أنقاض دولة هبسبرج في أعقاب الحرب العالمية الأولى . وأجزاء المانيا أكثر اتكالاً وتعويلاً بعضها على بعض ، وأوثق صلة بعضها ببعض مما كانت أجزاء دولة هبسبرج . وإذا نحن بينا وجوه الضعف في هذه المقترحات ، فإن ما نبينه لا يمنع في حال من الأحوال ، تنفيذ هذه الخطة أو تلك ، إذا حزم الحلفاء أمرهم وتوسلوا بالشدة اللازمة . ولكنهم اذا فعلوا فيغلب على الرأي أن الاقتصاد الأوربي يتدهور ، والخاسر في تدهوره ، ليس الشعب الالماني وحسب ، بل العالم قاطبة .

وأما المقترحات الخاصة بالقضاء على طائفة دون غيرها من الصناعات الالمانية ، فإن نفاذها ليس بالأمر الميسَّر . فهي قائمة على رأي خاطئ ، مؤداهُ أن في الدولة الصناعية الكبيرة — كالمانيا — أجزاء من نظامها الاقتصادي ، لازمة للحرب ، كصناعة أدوات الساعة ، وكرات المحاور والتروجين المثبت اللازم للمتفجرات ، والزيت الصناعي والمطاط الصناعي

وغيرها ، والرأي انهُ إذا قضي على هذه الصناعات قضاء الأبد ، فان ألمانيا تفقد قدرتها على شنّ الحرب .

وليس ثمة ريب ، في أن الدول المنتظمة في الهيئة العالمية الجديدة ، تستطيع أن تدمّر المصانع التي تخصصت في صناعة السلاح والذخيرة ، ويغلب على الظن أن هذا ضروريٌّ لكي تتاح فرصةٌ يبنى فيها العالمُ بناءً جديداً ، وفي مقترحات دمبرتون أوكس نصٌّ على هيئةٍ تشرف على هذا العمل . وقد يستغرب القارىء اذا عرف أن هذه الطائفةمن المصانع الالمانية ، جزءٌ قليلٌ من الصناعة الالمانية ، وأن منزلتها في قدرة ألمانيا الحربية ، ليست بالمنزلة الاولى . فالاصول التي تنهض عليها قدرة أمةٍ ما على شنّ الحرب ، هي صناعاتها الهندسية والكيميائية ، وعمالها المدرَّبون الحاذقون ، ومنشآت البحث العلمي والصناعي ، وطوائف الفنيين والمديرين . وقليلٌ من كل هذا ، يدخل في نطاق المصانع المتخصصة في صنع السلاح . فالجانب الأكبر من ذخيرة الحرب ، يصنع في أثناء الحرب ، في المصانع الهندسية والكيميائية العادية ، بعد توسيع نطاقها وضمّ أثوف من الرجال والنساء إلى عمالها المدرّبين . والحرب الحديثة ، تقتضي أن يكون جانبٌ كبيرٌ مما يحتاج اليه الجيش ، مؤلفاً من سيارات وقاطرات وأجهزة لاسلكية ومسالف وجرّارات ، وهي مما يصنع في مصانع لا تعدُّ في أيام السلم مصانع حربية ، مهما يبلغ منك التطرُّف في التحديد والتعريف . وأجهزة الراداو ، التي تعدُّ من أهم المعدّات الحربية ، تصنع في مصانع الراديو ، وأجهزة الطائرات في مصانع السيارات والطائرات التي تصنع للسلم .

فالقدرة الحربية تزداد صلتها توثقاً على الأيام بالانتاج الهندسي والكيميائي في أثناء السلم ، وقد يشقُّ على الظافر في الحرب ، أن يتخيَّر من شبكة هذا الانتاج موقعاً بعينه ويحكم بالقضاء عليه . فالقضاء على قدرة ألمانيا الحربية يعني القضاء على جانبٍ كبير من صناعاتها الهندسية والكيميائية . ثم الحيلولة الدائمة دون بنائها . لأنهُ إذا لم تكن الحيلولة دائمة ، فالقدرة الحربية الالمانية تنهض حين تنهض على صناعةٍ أحدَّ وأكثر اتقاناً وسايرة لتقدم العلم وأساليب الصناعة . فالقول بوجوب تدمير أصول الصناعة الحربية الالمانية ، يقتضي أن يكون التدمير شاملاً أو دائماً لكي يكون فعّالاً .

ولما كانت القدرة الحربية والانتاج الهندسي والكيميائي في زمن السلم ، يكادان يكونان شيئاً واحداً ، كانت مشكلة تعمير أوربا الاقتصادي على قاعدتين من تقليم أظافر الالمانية الحربية وتوفير الرخاء للقارة الاوربية ، مشكلة معقدة . وقد كانت المانيا ، حتى قبل أن نشبت الحرب ، متفوّقة على سائر أوربا في قدرتها الصناعية . فسكان المانيا لا يزيدون

على خمس سكان القارّة غرب روسيا ، ومع ذلك كانوا ينتجون ٦٠ في المئة من لحم أوربا ونصف حديدها الصب وصلبها ، وأكثر من نصف ألومينومها و٤٠ في المئة من أسمنتها وتلث حمضها الكبريتيك ، وكانت لها منزلة متفوقة في إنتاج الأجهزة الكهربية ، والآلات وأدوات الصناعة والقاطرات والأجهزة الطبية والبصرية وغيرها . وما يصدق على المنتجات يصدق على المصانع والمنتجين والمديرين . وقد كانت فرنسا تنافس ألمانيا في صناعة السيارات ، والسويد في صناعة كرات المحاور ، وسويسرا في صناعة الساعات ، ولكن دول القارة الأوربية مجتمعة لم تكن تجاري ألمانيا في عدد منتجاتها الهندسية والكيميائية ولا في مقدارها وكذلك أصبحت حياة أوربا الاقتصادية مرتبطة أوثق ارتباط بألمانيا ، من ناحية الاتجار معها ، ومن ناحية الجماعات الصناعية التي كان للشركات الألمانية الكبيرة ، سهم كبير فيها وكلة عالية .

فلما نشبت الحرب وانقادت الانتصارات الحربية للجيوش الألمانية في عهدها الأول ، عمد حكام ألمانيا ، إلى خطة قوامها أن تصبح أوربا وحدة اقتصادية فتكون ألمانيا قلبها الصناعي ، وتكون سائر البلاد الأوربية مناطق زراعة وصناعة صغيرة . ولكن اتساع نطاق الهجوم الجوّي البريطاني أولاً ثم البريطاني الاميركي ، جعل تفريق الصناعات الألمانية أمراً لا مفرّ منهُ ، فعدل حكام ألمانيا عن الخطة الأولى ، وجعلوا يرسمون نطاق الصناعة في شرق أوربا ، ليجعلوها بعيدة عن القاذفات الحليفة . وقد تمّ هذا التوسيع تحت إشراف شركاتهم الصناعية الكبيرة ، مثل مصانع هرمان جورنج ، ورايخسنتال ، وفارن وغيرها ، ولم تراع فيه ، الحدود الجغرافية والسياسية ، فأصبحت الصناعة الأوربية مع تفريقها وحدة كبيرة ، وكانت تصنع أجزاءً في فرنسا وأخرى في بولندة أو سلوفاكيا ، ثم تجمّع وتبنى منها الآلات الكاملة — دبابات أو طائرات او غيرها — في مكان ما بألمانيا ، وكانت لألمانية سيطرة تامة عليها من كلّ ناحية . وكذلك تمّت سيطرة ألمانيا على الصناعة الأوربية .

ومن هنا منشأ المشكلة .

ان تعمير القارة الأوربية تعميراً اقتصاديًّا ، يقتضي تياراً مستمرًّا من شتّى المنتجات الهندسية والكيميائية ويقتضي كذلك تنظيم شؤونها الاقتصادية على نطاق أوربي ، وتطبيق أحدث وسائل الإدارة لخفض النفقات العامة ، ومنع مضاعفة الجهد . فإذا أخفق تعمير أوربا وتجديد حياتها الاقتصادية ، وانحدرت إلى وهاد التخبّط وضعف الكفاية والمنافسة السخيفة ، صارت أوربا ثَرْحةً كبيرة في جسم العالم الاقتصادي . ولما كانت ألمانيا سابقة سائر البلاد الأوربية في شؤون الصناعة وتنظيمها وتدبيرها ، فكيف يستطاع أن يتم

تعمير أوربا تعميراً اقتصادياً على القواعد التي تقدم ذكرها ، دون أن يقضي ذلك نهوض قدرة المانيا الحربية مرة أخرى وعودتها سريعاً الى السيطرة على حياة أوربا الاقتصادية .

هذه هي المشكلة الاقتصادية الكبرى في النسوية العالمية التي تلي الحرب .

***

من الواضح أن هذا التعمير ، يجعل أوربا في حاجة الى المنتجات الصناعية زمناً طويلاً . ومن الواضح كذلك أن الالمان أقدر أمم أوربا على صنع هذه المنتجات ، ولكن السماح لهم بأن يفعلوا يثير مسائل سياسية بعيدة المدى . لانه اذا سمح لالمانيا أن توفر لاوربا هذه المنتجات ، كان من المتعذر أن تفرض على أصول القدرة الحربية الالمانية ، قيود دقيقة زمناً طويلاً ، وأن تسد على المانيا طريق العودة الى السيطرة على حياة أوربا الاقتصادية . والامران كلاهما — نهوض قدرتها الحربية ، وسيطرتها على الاقتصاد الاوربي — من الامور التي يريد الحلفاء أن يتفوهما منعاً باتاً . ومعظم الذين كتبوا في هذا الموضوع يتجاهلون هذه المشكلة ، ويقترحون مقترحات شتى للقضاء على الصناعة الالمانية مع أن هذا القضاء لا يفضي الى الكفاية في المانيا وحسب ، بل الى الكفاية في أوربا أيضاً . وإذن فلا مفر من البحث عن حل آخر يقيم الوزن الكافي للحقائق الاقتصادية دون أن ينطوي على لين وعطف في معاملة الالمان .

وقد عرضت جريدة التيمس رأياً في هذا الصدد . فهي تقترح أن تعاون دول أوربا الاخرى ، على رفع قدرتها الصناعية والفنية ، فيقضي ذلك إلى لون من الاستقرار في حياة أوربا الاقتصادية ويغري بالتعاون ، ويمهد لرفع مستوى العيش في القارة كلها . وهو في الوقت نفسه موائم للضرورات الحربية . فالاعتراض على تدمير الصناعة الالمانية ، يرجع إلى أن معظم الصناعات في زمن السلم هي أساس للصناعة الحربية في زمن الحرب . فتدميرها يفقر المانيا وأوربا ، ويعوق تعمير أوربا الاقتصادي ويجعل شعوب أوربا في حدود الكفاية . وبقاؤها يحفظ الاصول التي يمكن أن تنبعث منها قدرة المانيا الحربية مرة أخرى . وإذن فيحسن أن تمتاز الصناعات في سائر بلاد القارة ، حتى تكون من ناحية أساساً للتعمير ورفع مستوى العيش ، ومن ناحية أخرى قواعد للقدرة الحربية توازن قدرة ألمانيا إن لزم الأمر . ولو كانت بولندة ودول الاتفاق الصغير ، تنتج اثنى عشر مليوناً من الصلب ، في سنة ١٩٣٨ بدلاً من أربعة ملايين وحسب ، فلربما كان الالمان راجعوا أنفسهم مراراً قبل إقدامهم على أعمال الاعتداء .

ولذلك تقترح التيمس ، أن تجري الدول المتحدة ، في مواجهة هذه المشكلة ، على خطة ذات شعبتين . أما الاولى : فنزع سلاح المانيا نزعاً دائماً ، ويدخل في هذا القضاء على طائفة

الصناعات المتخصصة في الانتاج الحربي، كالزيت الصناعي والطائرات الحربية والمدافع والدبابات والصواريخ وكرات المحاور وما أشبه، وأن تكون الرقابة الحليفة بالغة الدقة في تنفيذ هذا. وأما الثانية: فبذل العون لدول أوربا الغربية والجنوبية والجنوبية الشرقية، لتعزيز قدرتها الصناعية. فهذه الدول تملك من اليد العاملة، ما يكفل لها إن عززت صناعتها واستطاعت أن تتماسك تماسكاً سياسياً، أن تمنع قيام خطر ألمانيا الحربية، ولو سمح لألمانيا بأن تحتفظ بصناعتها الهندسية والكيميائية لكي تعين الشعب الألماني على العيش ولكي تساهم في بناء أوربا الصناعي.

إن تعزيز القدرة الصناعية زمن السلم في دول أوربا التي لم تبلغ مبلغاً يذكر من التقدم الصناعي، يضمن أن يكون التعمير الاقتصادي ملازماً ومؤيداً للتنظيم السياسي الحربي في أوربا بعد الحرب، وأساساً يصلح لانتعاش الحياة الاقتصادية، في أوربا وتوسيع نطاقها ورفع مستوى معيشتها، حتى لا يكون الفقر والعوز فيها والتعطل عن العمل تربة تنبت فيها بذور الحرب.

ولكن تعزيز القدرة الصناعية في الدول الأوربية غير الألمانية، ينطوي في ثناياه خطراً عظيماً، ذلك بأن الألمان قد يحسنون العمل السياسي والاقتصادي فينشئون صلة وثيقة بينهم وبين هذه الشعوب، بما يحتمل أن يكون لهم من شأن في تعمير هذه الدول، فيفيق العالم ذات صباح ليرى ألمانيا، مسيطرة على دول، بذل العالم ما بذل في تعزيز قدرتها الصناعية، فتكون الطامة أعظم بوميض. ولاتقاء هذا الخطر، لا بد في نظر النيس من أمرين أما الأول: فأن تشارك بريطانيا والولايات المتحدة في هذا التعمير، عن طريق البنك الدولي للتعمير والتحسين، فتكون ألمانيا إحدى الدول الصناعية وحسب التي تشارك في هذا التعمير. وأما الثاني: فأن تبقى بريطانيا والولايات المتحدة وروسيا على يقظة وحذر دائمين. واذا جعلت مشروعات التعمير، جزءاً من خطة اقتصادية حربية منسقة تتخذها الدول المتحدة، كان اجتناب هذا الخطر أيسر.

ولكن «اليسر» ليس مطلق المعنى. فاليسر، يقتضي تعاوناً طويل الأمد في مراقبة ألمانيا والدول التي يُبذل لها العون، فاذا كان ذلك مستطاعاً فهذه الخطة أهدى إلى حل هذه المشكلة المعقدة، من مجرد القضاء على قدرة ألمانيا الصناعية، لأن في هذا القضاء نقضاً لما تتوخاه الدول المتحدة، ولما يقضي به العقل، من تجديد حياة أوربا الاقتصادية وتوسيع نطاقها وتوفير الأسباب التي تضمن لشعوبها الأمن من الفاقة.

فؤاد صروف

الخبز عماد الحياة لو صنعناه من القمح كاملة كما أراده الله سبحانه ، ألف لنا الخبز غذاء متيداً تاماً.

ومطحون القمح بجميع أجزائه يتكون من الدقيق الأبيض ومن النخالة ، وهذه تتركب من دقائق خشنة سمراء اللون هي أغلفة القمح ، ومن دقائق أخرى دهنية الملمس مائلة الى الصفرة الشاحبة وهذه هي لأجنة الحبوب .

والدقيق الأبيض لا يحتوي إلا على مادة نشوية نقية تتركب من الكربون والايدروجين والاوكسجين .

وأما النخالة فهي تتركب من الفيتامينات وبعض المركبات المعدنية كالفوسفور والحديد والكلسيوم والسليكون واليود والنتروجين والكبريت والبوتاسيوم والمنجنيز .

وأنت اذا عرفت أن الفيتامينات تقيك شر الاصابة بأمراض عديدة مختلفة ، وأن الفسفور يقوي أعصابك ، والحديد يمنع فقر الدم ، والكلسيوم يقوي العظام ، والأسنان والغضاريف ، ويحافظ على نقاوة الدم ، والسليكون يمنع الصلع وسقوط الشعر ، واليود يغذي الغدد ، والنتروجين والكبريت يبنيان الأنسجة ، والبوتاسيوم والمنجنيز من العناصر اللازمة لعمليات الجسم وظائفه الفيزيولوجية والفسيولوجية ، إذا عرفت كل هذا تأملت كثيراً من أن المدنية قد منعت الناس خبزها المصنوع من الدقيق الأبيض الذي لم يعد غذاء تاماً ، وفي الوقت نفسه سلبتك كل هذه العناصر الغذائية الهامة .

والنخالة التي تضاف الى تكل بها دقيق خبزنا والتي نرميها للدواب والماشية ، كان يقول النبي صلوات الله عليه لكل من أتاه مريضاً « عليك بالبغيض النافع » وهذا البغيض النافع ما هو إلا نخالة مخلوطة بعسل النحل .

ومن خصائص نخالة القمح ان لها قدرة على امتصاص كميات كبيرة من الماء فتمنع تيبس الكتلة الغذائية في أثناء مرورها في الأمعاء ، وتساعد على انزلاق البراز الى الخارج فلا يحدث الامساك الذي يتسبب عادة من تناول الخبز المصنوع من الدقيق الابيض النقي .

ويتبين مما تقدم أن الخبز الكامل المصنوع من القمح بنخالته من سن وردة وغيرها يحوي جميع العناصر الغذائية الضرورية لحفظ صحة الانسان من الامراض التي تتسبب عن نقص الفيتامينات — ومن أمراض الاسنان والامساك والامراض والروماتزم والبول السكري وفقر الدم .

لذلك لا تشغل بالك أن الحرب قد فرضت أكل خبز قريب بعض الشيء من الخبز الكامل — بل عود نفسك من الآن أكل الخبز الكامل في أيام الحرب والسلم معاً .

واعلم أن الخبز الابيض آفة المدنية وان الخبز الاسمر الكامل رسول الصحة .

وإذا أكلت الخبز فامضغه جيداً حتى يصير كالماء في فمك ، ومعنى هذا إنه قد اختلط بأكبر كمية ممكنة من اللعاب الذي يهضم المادة النشوية الموجودة بالخبز .

وكل الخبز مرة واحدة في اليوم ولا تأكله مع المواد البروتينية كالفصة والفول وانما كله مع المواد الدهنية كالزبد أو المواد السكرية كالعسل الأسود وكله أيضاً مع الخضروات على اختلاف أنواعها مطبوخة أو غير مطبوخة كالسلاطة مثلاً .

وأحسن الخبز ما كان مقدداً لأن نشاءه يتحول الى مادة تسمى « ديكسترين » وهذه أسهل هضماً من النشا .

ان الخبز الذي أوصت لك عنه غيوم المدنية الكاذبة هو الخبز الأول الهناء الذي يحفظ عليك صحتك ، فصم من بعد قراءة هذه السطور القليلة المتواضعة أن يكون الخبز الكامل رغيفك اليومي .

فصي نعطا الله

اذا ..

للشاعر الانكليزي الكبير روديارد كبلنج

« في عدد قديم من للقطف الاغر قرأت الترجمة النثرية لهذه القصيدة وقد حاولت إذ ذاك أن أنظمها شعراً عربياً ، فكانت هذه الابيات »

إذا استطعت ـ دواماً ـ أن تكون على ... رباطة الجأش ، حين الكل يضطربُ
وكنتَ ذا ثقةٍ بالنفس ملؤها ... عزماً ، على حين تجري حولك الريبُ
وكنتَ تطمحُ .. لكن ليس يجعلك الـ ... ـطموح عبداً لأيٍ منه تنتحبُ
وكنت تمن في الأفكار تجعلها ... لا غايةً للنجاح ، بل هي السببُ
وكنت تقدر في فوزٍ وفي فشلٍ ... بأن يجدد منك السعي والدأب
وكنت لست الذي يخشى مخاطرةً ... بكل أمرٍ إذا ما استوجب الطلبُ
وكنت تقدم للأهوال معتقداً ... أن التفوق بالاقـدام يكتسبُ
وكنت فرداً وديعاً في كياسته ... ماشياً كل قوم بالذي يجب ...
لدى الجماهير لا تأبى مسايرةً ... مع التحفظ كي لا يمكس الأرب
وفي مصاحبة (الاقيال) ذا أدبٍ ... لا يستحقك اسـتلفاتٌ ولا لعبُ
وكنتَ لستَ بهيّابٍ ولا وجلٍ ... وليس يثنيه عن غاياته تعبُ
تأبى البطالة إحساساً بذلتهـا ... وتملأ الوقت فعلاً منك يُرتقبُ
إذا استطعت لهـذا .. يا ابن مجدته ... فليس تعوزك المعقولة النقبُ
فأنت أنت الفتى السامي بمزته ... فوق السماك اليه ترمق الشهبُ
وأنت أنت الذي تأبى الحياة له ... بكل ما يتمنى السادة النجبُ
لك التفوق في الأحياء قاطبةً ... حباك النجاح ، لك العلياء والحسبُ

نكتا :

محمد سعيد العامودي

عالم المجهول

كما ان الشبح المنعكس من عدسة زجاجية على حائط ليس سوى صورة مكبرة من ذلك الشبح الكائن في العدسة ، كذلك النظريات الخاصة بهذا العالم ، ليست سوى صور مكبرة من نظريات العقل الانساني ، تلك عادة حال نماذج تستمد من تجاربنا اليومية كروزيار

لا نشك في اننا اذا انكرنا العالم المجهول ، نكون قد بعدنا جهد البعد عن أسلوب العلم نفسه . فان العلم لم يحط بكل شيء ، ومبدانه محدود بالظاهرات المحسوسة دون المباحث . فعالم الماهيات برمته عالم مجهول ، ولا يدعي العلم انه في مستطاعه ان يكشف سر الماهيات بطرقه المعروفة . وما دام العلم قاصراً عن ذلك ، فان من الطبيعي عند الذين يعرفون حدود العلم ، ويؤمنون بقصوره عن ادراك الماهيات ، وحتى عن تعليل جميع الظاهرات ، أن يعترفوا بأن أشياء العالم المجهول لا ينبغي ان ترفض لاول وهلة ، لان العلم لا يتناولها بأسلوبه ، أو لانها بعيدة عن أسلوب العلم .

ان نزعة العلم — Science — وطريقته ووجهة نظره ، وعلى الجملة كل ما يقع تحت مفهوم العلم من أشياء العقل البشري ، شيء حادث من مكتشفات الاعصر الحديثة . بل اننا لا نبالغ اذا قلنا مع القائلين بأن تحديد طريقة العلم ووضعها على قواعد خاصة ثابتة ، كان أبلغ أثراً وأعمق فائدة للانسان من أعظم المكتشفات الحديثة جميعاً ، اذ باستكشافها ، لم تعد قضايا العقل الانساني وكفاياته ، تتخالط ذلك التخالط الذي ظهر جلياً واضحاً في صفحات التاريخ طوال العصور الأولى .

مما لا مشاحة فيه ان جنوح العقل الى التساؤل عن حقيقة الأشياء ومصادرها ، وحوادث الكون وظاهرات الطبيعة ، كان في الواقع أول الضرورات الجوهرية التي أفضت بالانسان منذ أبعد العصور الى البحث وراء الحقيقة . فالانسان الأول عندما نزع به التفكر الى تصوير نظرياته الروحانية التي كان يعلل بها حقائق هذا الوجود ، لم يضع البذرة الأولى للدين وحده ، بل غرس مبادىء العلم وقضايا الفلسفة .

فالأساطير والخرافات ، قد تضمنت من العلم بزوراً ، كما حوت من الدين مبادىء . غير

ان العلم قد احتاج الى عصور متطاولة ومرغلة في القدم، حتى أصبح له وجود مستقل بذاته. فمن نزعة العقل الى البحث، ان كانت قد صورت منذ القدم مختلف صور الاديان ونظمت مبادىء الفلسفة الأولية، فان العلم لم ينفصل عن الفلسفة ولم تفرق كفايات العقل بين قضايا الفلسفة ومبادىء العلم ونظرياته، الا منذ عهد قريب.

إن كل الباحثين في تاريخ الفكر الانساني يعتقدون بحق ان فرنسيس باكون أول من وضع العلم حدوداً فصلته عن الفلسفة. وديوع « منطقه الحديث » يعد أول عهد العلم بالوجود المستقل. أما ما ندعوه اليوم « الاستكشاف العلمي » الراجع الى العكوف على درس الطبيعة، فقد أدى بباكون الى القول بأن الطريقة المثلى التي يجب ان نمضي عليها في حل مشكلات الحياة ومسائلها، هي الطريقة العملية المعارضة للطريقة الفلسفية، التي ذاعت في القرون الوسطى، وكانت تعمد الى المناقشات الكلامية، والعلم الضروري.

ان من أخص ما نحتاج اليه في هذا الموطن أن نظهر الفرق بين نزعة العلم ونزعة الدين والفلسفة. أما الدين والفلسفة فنزعتهما ذاتية Subjective محدودة، في انها تنسب، أو تحاول ان تنسب، قيمة ذاتية خاصة لحادثات الحياة وظواهرها، وهي في أهم وجوهها عبارة عن معرفة الوجود بشكل عام مطلق مستمد من الرغبات والضرورات الراجعة الى الشعور أو الوعي الكامن، والى روح الانسان اذ تزداد الى النظر في حياتها الداخلية أكثر من نظرها في عالم الطبيعة الخارجي. أما نزعة العلم فيقرر العلماء بأنها غير ذاتية، بل موضوعية Objective تامة. والعلم ان كان في حقيقة وجوده ومرجعه، وبحكم العقل الانساني إزاء الكون، ذاتي كالدين والفلسفة، الا ان موضوعية العلم تنحصر في انه ينظر في عالم الطبيعة الخارجي، أكثر من نظره في طبيعة الروح المستترة المختفية وراء الظواهر المرئية.

يعمل الدين كما تعمل الفلسفة الى العالم المنظور، وكلاهما يحاولان من طريقها ان يخلقا جواً ملائماً لمجموعة من الرغبات والانفعالات الخاصة. أما العلم فيظهر خلواً من كل شيء ولا يصل الى العالم، الا ليعرف الكون من طريق النظر في طبيعته. يترك العلم الطبيعة حرة في أن تلقي في روع كل بشر سرها وروايتها بلغتها الخفية. أما الدين والفلسفة فلا ترضيان الطبيعة أن تتكلم بلغتها، فيضعان لها لغة، وينتصبان لها أسلوباً من البلاغة مخالفاً لبلاغتها، يرجع في كل الحالات الى استيفاء أغراضه الأولية، لا الى الترجمة عن حقائق الكون كما تريد الطبيعة ان تلقيها في روعنا.

ولعلنا يكفينا في هذا البحث أن نعرف مما سبق القول فيه اننا لا نقصد بالعلم إلا كل ما خرج عن حيز الآداب والفن والدين والفلسفة. بحيث يكون ذا قواعد راهنة لا ينتابها

التغيير والتبديل . ولا شك عندي ان من أعظم ما كشف للعقل عنه في الأعصر الحديثة ، لا طريقة العلم ، ولكن تيقّن أهل العلم بأن للعلم حدوداً يقف عندها . فان هذا الكشف قد جعل العلم يترك ادعاءه بحق التفرد بالوجود والتسلط وحده على كفايات العقل البشري ، إذ بان لأهله أن وظيفة العلم تنحصر في « وصف » حقائق الكون ، لأن العلم يتناول معرفة الظاهرات وآثارها وعلاقة بعضها ببعض ، وان وظيفته بعيدة عن « تفسير » الماهيات . بذلك نامت عاصفة العلم وانتصرت الطبيعة البشرية على نزعات الوهم التي سادتها زمناً ، وتجددت المعارف الانسانية بحسب كفايات العقل ، فترك للدين والفلسفة سلطانهما ، وحُدِّد للعلم حيزه .

ولكنّ هنالك بعضاً من الذين لم يهتدوا بعد إلى تحديد كفايات العقل ، ممّن يزالون ينكرون بأن هذه العاصفة ، عاصفة العلم ، قد نامت ، ولا يزالون يريدون أن يخضعوا طبيعة العقل إلى ناحية واحدة ، ناحية العلم الموضوعية ، مستبدين غير محرَّرين من فورة القول بأن العلم هو الجدير وحده بأن يتبناه العقل .

أما هؤلاء فيكرون « العالم المجهول » ويقولون لا « مجهول » في عالم العلم ولا في عالم العقل . وهؤلاء نضع أمامهم ست مسائل من مئات المسائل ، ونتحداهم أن يثبتوا لنا انها لا تدخل في عالم المجهول ، وان العلم يمكنهُ أن يفسرها بطرقه المعروفة . فاذا استطاعوا فليس هنالك عالم مجهول ، وإذا عجزوا ، كان اعترافهم بالعجز ، اعترافاً بأن عالم المجهول أرحب وأوسع من عالم المعلوم ، واستتبع ذلك الاعتراف بحقيقة أخرى هي ان كل خطوة يخطوها العلم نحو معرفة شيء من عالم المجهول ، إن ضيقت شيئاً مّا من أفق الجهل ، فانها تزيد كثيراً من آفاق المجهولات .

١ — المسألة الأولى : الاعتقاد بوجود عالم خارج عن حيزك .

خذ مثلاً النكأة التي تكتب عليها . كيف تعرف أنها خارجة عن حيزك ؟ إذا نظرت اليها أو لمستها أو وقعت تحت حسك بحال من الأحوال ، فكل ما في مستطاعك أن تعرف منها ليس سوى مدركات حواس مختلفة موجودة فيك ، وليست خارجة عن حيزك . لا في لونها أو صورتها ، بل أيضاً في صلابتها وفورتها . والدليل على ذلك أن فقد أعصاب البصر يمنع عليك أن تراها . وان فقد أعصاب اللمس يمنع عليك أن تحس بها . وان فقد الحواس جميعها يمنع عليك أن تدرك أن لها وجوداً البتة . ذلك في حين انه وان لم يكن في مستطاعك أن تعرف من وجود تلك النكأة « عليّا » إلاّ إحساسات كائنة في حيزك ، إلاّ أن تركيب عقلك قد وضع على نظام يحملك على الاعتقاد بأنها كائنة في حيز خارج عنك . فاذا اعتقدت

بما يخالف ذلك ، وأخذت تؤدي عملك بما يوحي اليك به اعتقادك هذا ، كان ذلك دليلاً على ان ميزان العقل قد اختلَّ وتضعضعت ألفته .

٢ — المسألة الثانية : وجود ذلك الشيء الذي ندعوه العقل في ذوات من البشر غير ذواتنا .

كيف أستطيع أن أعرف أن صديقي الذي يماشيني يحوز شيئاً يقال له العقل ؟ اني لا أستطيع أن أراه أو أحس به أو أتناوله بتجربة اتخذ مجهر الطبيب أو مشرط الجراح أو مجهزات الكيماوي ، أداة لها . فاذا كان معتقدي في عقل صاحبي يعود إلى مقدار ما أستطيع أن أعرف منهُ علميًّا ، لما استطعت أن أعتقد في وجوده مطلقاً ، لأن مفخرة العلم ادعاؤه بأن كل مستنتجاته من المستطاع أن توضع تحت حكم الحواس . فان وجود العقل في صاحبي كوجود « واجب الوجود » : كلاهما اعتقاد إلهي . إننا لا نستطيع أن نعرفه من طريق العلم ، وفي الوقت ذاته ملزمون بالاعتقاد به ، كأحد الفروض الضرورية الجوهرية التي يقوم عليها أكبر جزء من معرفتنا .

٣ — المسألة الثالثة : الاعتقاد في تفوق العقل على المادة ، والشجاعة على حب الملذات .

كيف ندرك أن العقل متفوق على المادة ، وان العواطف العقلية أزكى طبيعة من العواطف الحسية أو حب الذات ؟ كيف ندرك ان الشجاعة وكرم الأخلاق وتضحية النفس ، أسمى طبيعة من حب الملاذ والطمأنينة والحسيات بضروبها ؟ ان خلايا المخ التي تنشأ من تفاعلها وحركتها تلك الانفعالات والخصائص المختلفة ، كلها تماثل المادة ، ولا تدرك ، كالمادة ، شيئاً من هذه الانفعالات . ونعرف من جهة أخرى ، وبقدر ما يسمح لنا به العلم الطبيعي ، ان هذه الخلايا متشابهة في المرتبة والقدر . ومع كل هذا نجد أنفسنا مسوقين الى الاعتقاد بأن هنالك فرقاً في المرتبة والقدر بين الانفعالات المتشاكلة ، ولولا هذا الاعتقاد لأصبحت العلوم والمجادلات الأدبية برمتها سخرية وتضليل . وهنالك تنعطل المصالح العظمى في حياة الانسان ، كالتفريق بين درجات الفضيلة والرذيلة ، والمدح والذم ، والشرف والاسفاف ، أو انها تصبح على الأقل أشياء غير واقعة أو مضادة للبديهة .

٤ — المسألة الرابعة : الاعتقاد في بقاء القوة . أي حقيقة أن كمية القوة الموجودة في الكون ثابتة لا تزيد ولا تنقص .

يقول العلامة هربرت سبنسر ، كبير مفكري العلماء في القرن الماضي ، إن هذا الاعتقاد أساس كل العلوم الحديثة ، وانه النبع الخفي الذي تستمد منه كل النواميس الطبيعية . يقول سبنسر إن كل النواميس الطبيعية الأخرى ليست سوى توابع تعود إلى هذه الحقيقة

العظمى . وكل الاستنتاج العلمي « يفرض » ان القوة ثابتة ؛ لأنها إذا لم تكن كذلك ، أصبحت أدوات قياس الأبعاد ، التي هي في ذاتها عبارة عن قياس القوة الجاذبة ، وكل أدواتنا الأخرى التي نحقق بها استنتاجاتنا العلمية ، متغايرة بين يوم وآخر ، أو بين ساعة وأخرى ، وبذلك تصبح كل المعارف الطبيعية غير ممكنة . لذلك كان مبدأ بقاء القوة ، ولو لم نستطع أن نثبته علميًا ، اعتقاداً إلزاميًا . والعلامة « سبنسر » يعتقد أن هذا الفرض ، ولو كان أساس العلم ، إلاّ أن العلم يعجز عن إدراكه . وهذا مثال حق يثبت قاعدة ان كثيراً مما لا يمكن أن يدركه العلم الطبيعي ، يجب أن يعتقد في وجوده ، إذ لولا هذا الأمر ، لتحلّل ذلك الهيكل النظامي الذي ترتكز عليه معرفتنا .

٥ — المسألة الخامسة : الاعتقاد في أن المادة توجد بوجود قوّتي الجذب والدفع .

وهذه مسألة أخرى تحقق لدينا أن من الحقائق ما لا يفقهه العلم ، مع استحالة عدم الاعتقاد به .

أما ان قوتي الجذب والدفع حقيقة طبيعية ، فذلك ما لا سبيل إلى إدحاضه . فاننا إذا أخذنا جسما وأردنا أن نفصل بعض أجزائه عن بعض فانهُ يقاوم مجهودنا . وكذلك يقاومنا إذا أردنا أن نضغط أجزاءه ، منبئاً بذلك انه إنما يتركب من دقائق تتجاذب وتتدافع في آن واحد . وإلى هذه الحقيقة تعود ظاهرة التفاعل وعدم التفاعل في العلم الطبيعي ، بل وفي أجزاء الطبيعة برمتها . ومع كل هذا فان هذه الحقيقة تعدو الادراك العلمي في تعليل كيف ان دقيقة واحدة تجذب أخرى في حين انها تدفعها وتقاومها .

وفي ذلك يقول « سبنسر » — « إننا لا نستطيع أن نأتي بقطعة من المادة يظهر فيها أن جزءاً يجذب آخر في حين انه يدفعهُ . ومع هذا ، فان الاعتقاد بذلك الرأي ضروري »

٦ — المسألة السادسة : الاعتقاد في السببية العلمية .

وهو عبارة عن الاعتقاد في إن كل نتيجة لا بد لها من سبب يناظرها في القيمة . وهو اعتقاد في حقيقة نساق الى اليقين بها ، ولا يمكن معرفتها من طريق علمي .

ليس في تتابع وقوع الظاهرات ما يسوقنا إلى الاعتقاد باتصالها اتصال العلة بالمعلول . وكل ما في مستطاعنا ان نرى ان هنالك سلسلة من سوابق ولواحق . ومع ذلك نجد أنفسنا مسوقين الى الاعتقاد بتلك الحلقات غير المرئية من السببيات التي تربط بعض الأشياء ببعض ، ذلك الاعتقاد الذي يحفظ علينا ألفة العقل ونظامه . والسبب في ان حقيقة السببية العلمية لا تقتدر على الوصول الى الكشف عن ماهيتها ، راجع الى انها ليست غير مظهر من مظاهر بقاء القوة . وما دام بقاء القوة لا يمكن معرفته من طريق العلم ، فيتبع ذلك ان يمتنع على العلم

معرفة ماهية السببية . فاننا عند ما نقول إن نتيجة مّا يجب ان يكون لها سبب ، فانما نعني ان القوة التي يتكوّن منها ذلك السبب لا بد من ان تكون قد استمدت من ناحية اخرى، أي ان لها سبباً عنه حدثت . فان نتيجة ما مثلاً قد تقع تحت حسناء وقد تمثل لها بعدد أربعة، فاننا حينذاك نعتقد أيضاً ان اثنين واثنين او ثلاثة وواحداً ، لا بد من أن تتقدم وجودها . أما الاعتقاد بأن الاربعة يمكن وجودها من غير وجود اثنين واثنين أو ما يساويهما وجوداً سابقاً على الاربعة ، فاعتقاد بأن للقوة قد حدثت بعد العدم ، وفي ذلك نكران لحقيقة بقاء القوة

بذلك نرى ان القواعد الاولية التي تقوم عليها مدركاتنا ومعارفنا المنظومة ، يجب ان يعتقد بها ولو لم يكن في مستطاع العلم أن يعرفها .

أليست هذه عوالم مجهولة ، يعترف بها العلم ؟

اسماعيل مظهر

عش عمرك

الوئيدان

لأهل حزر الوئيدان عادة في الزواج من أعجب ما يروى الاجتماعيون . فللرجل منهم حق التزوج من عدد من النساء بقدر ما يستطيع أن يكفل الوئيدان بالصيد . وللمرأة حق التزوج من عدد من الرجال بقدر ما تستطيع أن تخدم منهم في بيتها . والزوجات يؤخذن بالاسر او بالشراء من الآباء . فاذا أسرت زوجة أو اشتريت بقي بها زوجها ، أي هرب بها واختفى عن الاعين ، تشبثاً بعادة جرى عليها اهل الكهوف منذ أزمان موغلة في القدم .

فاذا تزوج رجل من امرأة بذل جهده في أن يضم الى حرمه معها كل أخواتها الصغيرات ويبنات عمومتها وخئولتها . وعلى الكبش من ذلك ، فان امرأة متزوجة من رجل ما تصبح بحكم العادة زوجاً لاخوة بعلها وأبناء عمومته وخئولته أيضاً .

وعذاب الاولاد قدر . وصنف العذاب الدائم عندهم ، هو ذلك الصنف الدائم بين الانكسار حالة . فان الطفل اذا زاغ في البكاء والصخب ، عمدت أمه الى الماء فغطت به . فاذا كان العمل شتاء ، تجرته في نجوة من الثلوج ، فاذا امتزج الماء البارد الغرور فعل فيه ما يفعل السحر ، فكف عن البكاء وهدأت أعصابه .

اصلاح الخط

العربي

— ٣ —

(ج) كتابة الهمزة

كتابة الهمزة من المعضلات الاملائية التي لا ضرورة لوجودها في اللغة العربية . فأنت قلما ترى بين عامة الناس الذين يحسنون القراءة والكتابة ، بل بين الكثيرين ممن بلغوا شأواً بعيداً في تعلم اللغة العربية ، من يتقن كتابة الهمزة دون ما خطأ لكثرة تعقد قواعدها . وقد يجد المدقق في هذه القواعد شيئاً من المنطق والتناسق كعادة قواعد الصرف والنحو العربيين . ولكن يجد أيضاً الهمزة هي في الناحية الصوتية صوت حلقي بسيط ولكنها من ناحية الكتابة مضطربة لا تستقر على حال . فهي كالطفل اليتيم الذي لا مأوى له ولا محل يطمئن اليه ، تكتب وحدها تارة ، وعلى الياء طوراً ، وعلى الواو آونة ، وعلى الالف حيناً . ثم هي على الالف في أول الكلمة قد تكتب فوقها أو تحتها . ولعلّ شيئاً من التحليل لخصائص الهمزة ومقابلتها بالحروف الاخرى وبالصوت نفسه باللغات الاوربية يهدينا الى حل لمعضلة الهمزة، ينسجم مع ما نتوخاه من تبسيط الكتابة العربية وتيسيرها.

ان الهمزة في اللغات الاوربية لا ترد عادة الا في أول الكلمة عندما تبتدىء الكلمة بحرف علة . فاذا جاء حرف العلة في وسط الكلمة كان حرف مد ولم يلفظ همزة البتة . فحرف (e) في كلة election يلفظ همزة في أول الكلمة ولكنه في وسطها حرف علة ممت ، أي حرف مد ، ولا تلفظ الهمزة في وسط الكلمة الا إذا كانت الكلمة مركبة مثل قولنا reelection ، maladministration وغيرها من الكلمات المماثلة التي تبتدىء الكلمة الثانية منها بحرف علة . وهي الى هذا تخفض فيها لفظ الهمزة في الوسط فتلفظ ليّنة في الغالب قريبة من لفظ حرف العلة . فالهمزة في اللغات الاوربية اذاً هي حرف علة يلفظ همزة في ابتداء الكلمة بحكم الضرورة .

أما الهمزة في اللغة العربية فلا يقتصر ورودها والنطق بها في أول الكلمة ، بل هي كثيرة الورود جدًّا في وسط الكلمة وآخرها . فهي في العربية أقرب الى كونها حرفاً صحيحاً من كونها حرف علة . يدلك على ذلك انها تقبل الحركات جميعها من ضم وفتح وكسر وسكون وتنوين تقبل أي علامة الشدة، كما تقبلها الحروف الصحيحة فتقول : أُميمة ، سأل، سُئِيل، رأفة ، شيءٌ ، رَأْف . وهي تسبق أحرف العلة كما تسبقها الحروف الصحيحة فتقول : آمنَ (أ امنَ) ، إيمان ، مسؤول . على ان خاصية واحدة من خصائص الهمزة تجعلها شبيهة بحروف العلة في بعض الأحيان، فانها إن جاءت في وسط الكلمة ساكنة بعد ضم أو فتح أو كسر جاز في بعض الاحايين قلبها واواً أو الفاً أو ياءً . فلك أن تقول سؤدد وسردد ، شأن أو شان ، سائل أو سايل وان كانت هذه الاحوال قليلة بالنسبة إلى الاحوال التي تلفظ فيها الهمزة مقطوعة صحيحة . ومما يقرّب الهمزة من حروف العلة حذفها في اللفظ عندما ترد همزة وصل في أول الكلمة كأن تقول في « احتمال وبانقسام » .

والحق انها هنا ليست همزة حقيقية، بل صوتاً اقتضته ضرورة النطق بحرف العلة في أول الكلمة ، فاذا اتصل بما قبله حذف .

إن هذا التحليل يمهد لنا السبيل إلى ايجاد حل لمشكلة كتابة الهمزة . إن الأقدمين اعتبروا الهمزة أقرب إلى حروف العلة ولذلك اصطلحوا على كتابتها على أحرف العلة الثلاثة أو كتبوها وحدها ، وهم بذلك خلقوا لنا معضلة كتابة الهمزة وقواعدها المعقدة . ونحن نزعم ان الهمزة ليست حرف علة ، بل هي أقرب إلى أن تكون حرفاً صحيحاً . وهي كحرف صحيح ، يجب أن يكون لها رمز واحد ثابت ، كما لسائر الحروف الصحيحة . ونقترح لذلك أن توضع الهمزة على كرسي الياء فتكتب دائماً هكذا (ئ) [1] أينما وجدت في وسط الكلمة وآخرها وتوضع عليها الحركات كما توضع على سائر الحروف الصحيحة . أما في أول الكلمة فنرى ابقاء كتابتها على الالف لانها الطريقة المألوفة ولا صعوبة فيها ، ولان أغلب الهمزات في أول الكلمة هي همزات وصل تحذف في النطق عند الاتصال بما قبلها فلا يبقى إلا الالف . وفي الرسم ، بعض كلمات مهموزة كتبت على هذه الطريقة مع وضع الشكل عليها عند الاقتضاء .

---

(١) اقترح علي أستاذي الفاضل أنيس الخوري اليسوعي أستاذ اللغة العربية وآدابها في الجامعة الاميركية في بيروت بعد قراءته هذا المقال، أن تكتب الهمزة على الالف في أول الكلمة ، وعلى كرسي الياء في وسطها ، ووحدها في آخر الكلمة

الوادي أميد إيماد الإيماد مُمِيدٌ مُدَمَّدٌ سُؤَال وِئَام رِئبال

عمائِم سَيِّدٌ شَيِّدٌ عِبِئٌ سائد رجّاءٌ تشائُم برائَة

الرسم ٤ — الطريقة المقترحة لكتابة الهمزة

وربّ معترض أنّ كتابة الهمزة على الطريقة الشائعة الآن تدلنا على حركتها أو حركة ما قبلها ، وهذا ما يفقدنا إياه أسلوب كتابتها المقترح هنا . وجوابنا هو ان شأنها في ذلك شأن جميع الحروف الصحيحة الأخرى ، فانها معرّضة للالتباس إذا لم تشكل ، وان العلاج الصحيح لهذا الأمر هو تحريك الهمزة أو ما يسبقها من الحروف عند الاقتضاء كما اقترحنا عند الكلام على الحركات ، وليس العلاج وضع قواعد عويصة ، لكتابة الهمزة هي أشد وطأة من الالتباس . وحينئذٍ لا نكون قد فعلنا سوى أننا حللنا مشكلة بخلق مشكلة أخرى . أما إذا عملنا بالاقتراح الجديد فاننا نكون قد حذفنا باباً عويصاً من أبواب الصرف ، قلما يتقنه أحد ، هو باب كتابة الهمزة وخلصنا من المعلمين والمتعلمين والناس أجمعين وجعلنا كتابتنا أقرب إلى المنطق .

(د) اضافة بعض الحروف والاصوات

من المشاكل التي تعترض القارىء العربي في هـذا العصر ، عصر الاقتباس الجديد من الثقافات الأجنبية وتبادل الثقافات ، وعصر الاتصال بجميع أنحاء المعمور ، وتوارد المعلومات والأخبار بالكتب والجرائد والمجلات ، وعلى أجنحة البرق والراديو ، مشكلة ضبط الأسماء الأجنبية الداخلة على اللغة العربيـة وقراءتها قراءة صحيحة . ومن هذه أسماء المواقع الجغرافية التي تتقاطر علينا في كل يوم بالعشرات ، وأسماء الأعلام الأجانب من سـياسيين وعلماء وأدباء وغيرهم ، ومصطلحات العلوم المختلفة المنقولة على علاّتها في كتبنا العلمية . وقد كثر استعمال هذه في كتبنا ونشراتنا وأحاديثنا اليومية وتعدّدت أساليب لفظ الناس متعلمين وأميين للكلمة الواحدة ، حتى لم يعد يصح السكوت عن هـذه القضية . والسببان الأساسيان لسوء لفظ هذه الكلمات هما . أولاً : أنها تتضمن في كثير من الأحيان حروفاً وأصواتاً لا وجود لها في اللغة العربية . وثانياً : انها غير صادرة من المحيط العربي فهي إذاً غير مألوفة لديه .

ويهمنا هنا قضية الحروف والاصوات غير الموجودة في الهجاء العربي ، وهي في رأينا أربعة حروف صحيحة ، وحرفان من حروف العلة . أما الصحيحة فهي پ (p) ، چ (ch الانكليزية) ، ڤ (v) ، گ (Gu) . وأما العلة فهي (o) و (ö ou) . ولا شك في أن هنالك حروفاً وأصواتاً أخرى لا وجود لها عندنا كحرف (e) الصامت الافرنسي (ö الالماني) وحرف u ، الرقيق الافرنسي (ü الالماني) وحرف (j) الافرنسي (zh الروسي) وغيرها . إلاّ أن هذه في نظرنا تقرب من الاصوات الموجودة عندنا قرباً كافياً يبرر اهمالها . وأني مقتنع ان إدخال الاحرف الستة التي ذكرتها على هجائنا ، يقرّبه من الكمال ويجعله سالماً لكتابة كل ما يرد علينا تقريباً من الكلمات الاعجمية وضبطها ضبطاً إن لم يكن تاماً فلا بأس بتقربه من الاصل .

أما الاصوات الاربعة الصحيحة وهي پ ، چ ، ڤ ، گ [1] فقد سبقنا الاتراك يوم كانوا يكتبون بالحروف العربية إلى ايجاد رموز لها مستمدة من الخط العربي وليس لنا ما نزيد عليها . وإنما بقي أن نجد رموزاً لكل من الصوت o والصوت é . ai ونحن نقترح واواً مقلوبة للاول (ۏ) تكون كبيرة عند ما تكون حرفاً وصغيرة تشبه الضمة المقلوبة (ۥ) عند ما تكون حركة . ونقترح وضع الرمز (ـه) للدلالة على الصوت الثاني (é ai) فان كان حركة وضعناه مصغراً فوق الحرف (ـ) وبهذا نستطيع كتابة ما نشاء من الاسماء الاجنبية أما إذا أردنا التنوين في هاتين الحركتين فنضاعفهما على هذا الشكل (،،) و (ـ) .

وها نحن نعطي بعض الامثلة على استعمال هذه الحروف (الرسم ٥)

چمبرلڤ پستمر سه باستهپل چايكهڤسكي

گلسورذي گته داڤنچيي الإنگليز كذستڤزا

الرسم ٥ — كيفية ضبط الكلمات الاجنبية

(١) ان كتابة الصحف والمجلات والكتب العربية لحرف (g) الاجنبي بحرف الجيم العربي في الكلمات الاجنبية مثل جرنك ، الجنيرة جوزفة قد ادى الى سوء لفظ كثير من هذه الكلمات من قبل الخيور العربي خارج مصر وخاصة من كان لا يعرف اللغات الاجنبية حتى ، فأصبحت هذه الكلمات تلفظ Injiliz Jinnunk (Jinete) ولذلك نقترح أن تكتب الكلمات العربية الاصلي بالجيم كالعادة تكتب جد ، وجدي وبالظبط كل نطق بحسب لفته . أما الكلمات الاجنبية فيميز من هذا الصوت فيها بحرف گ جديد تكتب گمرك ، انكليز ، گمرته فيزول الالتباس .

(هـ) اقتراحات املائية

إن مشكلة الخط متصلة اتصالاً وثيقاً بمشكلة الاملاء ، وما دام المراد تيسير الكتابة العربية فلا بأس من ايراد بضعة مقترحات املائية أخرى يكون من شأنها تيسير تعلم الاملاء العربي على المتعلمين . وها هي بعضها :

(١) اعادة الالف المحذوفة من بعض الكلمات كأسماء الاشارة . فنكتب هاذا ، وذالك وأولائك . كما أننا نكتب الآن هاتان ، وهاتيك . ومثل ذلك يجب ان نكتب عبد الرحمان بدلاً من عبد الرحمن . وقد جرى المحدثون على كتابة كلمات الصلاة والحياة والزكاة بالالف بدلاً من الواو .

(٢) حذف الالف الزائدة من الأفعال المجموعة في الماضي والمضارع والأمر فنكتب قالوا ، لم يقولو ، قولو ، كتبو ، ان يكتبو ، اكتبو بدون الف فنتخلص بذلك من غلطة شائعة في الاملاء . كما نتخلص من غلطة أخرى شاعت بين كتبة دواوين الحكومة خاصة وهي ان يضعوا الالف في آخر الجمع المذكر السالم المحذوف النون فتراهم يكتبون « موظفوا الحكومة » بالالف ولا الف هناك ، وانما قاسوها خطأ على الأفعال المجموعة .

(٣) الغاء الالف المقصورة التاء تامّا وكتابة بأواخر الكلمات المقصورة كلها بالالف الطويلة فنكتب مصطفا ، نهى ، علا (حرف الجر) ، وما ، استثنا الخ. وبذلك نتخلص من بضعة قواعد زائدة في الصرف والاملاء العربيين . ولا عبرة في القول بأن كتابة الأفعال الثلاثية بالالف الطويلة او المقصورة ، وضعت للدلالة على كون الفعل واويا أو يائيا . فاننا عادة نسأل أنفسنا اولاً هل الفعل واوي أم يأي فنقرر ذلك تبعاً للسليقة ، ثم نكتب الفعل باحدى الالفين . ولا نستعمل العكس الاّ في الأفعال القليلة الورود .

(٤) حذف الالف من كلمات مائة وخمسمائة فنكتب مئة وخمسمئة كما جرى عليه الكثيرون .

أننا نعتقد ان هذه الاقتراحات مع اقتراح كتابة الهمزة الذي سبق ذكره تخلص الاملاء العربي من معظم مشاكله وتخفف على المعلمين والمتعلمين في جميع البلاد العربية عملهم والمشكلة المهمة الباقية في الاملاء هي التمييز بين التاء الطويلة والتاء المربوطة . ويزاد عليها عند أهل العراق التمييز بين الضاد والظاء . وبذلك نجعل الاملاء العربي أيسر املاء في الدنيا تقريباً

(هـ) اقتراحات املائية

إن مشكلة الخط متصلة اتصالاً وثيقاً بمشكلة الاملاء ، وما دام المراد تيسير الكتابة العربية فلا بأس من ايراد بضعة مقترحات املائية أخرى يكون من شأنها تيسير تعلم الاملاء العربي على المتعلمين . وها هي بعضها :

(١) اعادة الالف المحذوفة من بعض الكلمات كأسماء الاشارة . فنكتب هاذا ، وذالك وأولائك . كما أننا نكتب الآن هاتان ، وهاتيك . ومثل ذلك يجب ان نكتب عبد الرحمان بدلاً من عبد الرحمن . وقد جرى المحدثون على كتابة كلمات الصلاة والحياة والزكاة بالالف بدلاً من الواو .

(٢) حذف الالف الزائدة من الافعال المجموعة في الماضي والمضارع والامر فنكتب قالوا ، لم يقولو ، قولو ، كتبو ، ان يكتبو ، اكتبو بدون الف فنتخلص بذلك من غلطة شائعة في الاملاء . كما نتخلص من غلطة أخرى شاعت بين كتبة دواوين الحكومة خاصة وهي ان يضعوا الالف في آخر الجمع المذكر السالم المحذوف النون فتراهم يكتبون « موظفوا الحكومة » بالالف ولا الف هناك ، وانما قاسوها خطأ على الافعال المجموعة .

(٣) الغاء الالف المقصورة الغاء تاماً وكتابة أواخر الكلمات المقصورة كلها بالالف الطويلة فنكتب مصطفا ، نهاء ، علا (حرف الجر) ، وما ، استغنا الخ . وبذلك نتخلص من بضعة قواعد زائدة في الصرف والاملاء العربيين ، ولا عبرة في القول بأن كتابة الافعال الثلاثية بالالف الطويلة او المقصورة ، وضعت للدلالة على كون الفعل واوياً أو يائياً . فاننا عادة نسأل أنفسنا اولاً هل الفعل واوي أم يائي فنقرر ذلك تبعاً للسياقة ، ثم نكتب الفعل باحدى الالفين . ولا نستعمل العكس الا في الافعال القليلة الورود .

(٤) حذف الالف من كلمات مائة وخمسمائة فنكتب مئة وخمسمئة كما جرى عليه الكثيرون .

اننا نعتقد ان هذه الاقتراحات مع اقتراح كتابة الهمزة الذي سبق ذكره تخلص الاملاء العربي من معظم مشاكله وتخفف على المعلمين والمتعلمين في جميع البلاد العربية عالمهم والمشكلة المهمة الباقية في الاملاء هي التمييز بين التاء الطويلة والتاء المربوطة ويزاد عليها عند أهل العراق التمييز بين الضاد والظاء . وبذلك يجعل الاملاء العربي أيسر املاء في الدنيا تقريباً

وعلى كرسي الياء في وسطها وآخرها . ورابعها اضافة ستة أحرف مستمدة من اللغات الأوربية تساعدنا على ضبط الأسماء الجغرافية وأسماء الأعلام والمصطلحات العلمية التي كثر

مدسكو ـ اغارت القوات السوفيتية على مدينة كرش في شبه جزيرة القريم وتتقدم الجيوش الروسية باستمرار في ساحة نوفكورود .
لندن ـ يقول مراسل رويتر الدبلوماسي إن السير جرچل ألقا بيانًا في مجلس العموم البريطاني

الرسم ٧ ـ كيف يمكن للقارىء العربي ان يقرأ الاخبار البولية دون ان يخفى عليه لفظ الاعلام الاجنبية والمواقع الجغرافية . ومثل هذا ينطبق على الاصطلاحات الاجنبية المنقولة الى اللغة العربية .

الحروف :

ا ب پ ت ث ج چ ح خ د ذ ر ز س ش
ص ض ط ظ ع غ ف ڤ ق ك گ ل م ن و
ه ة ء (o) ه (é, ai) لا

الحركات :

ـُ ـَ ـِ ـُّ ـَّ ـِّ ـْ ـٌ ـً ـٍ ـّ ـٰ ـٓ

الرسم ٨ ـ الشكل الثاني للحروف والحركات المقترحة .

استعمالها في العربية . وأربعة من هذه الأحرف هي أحرف صحيحة وهي پ، چ، ڤ، گ واثنان حرفا علة هما ٥ وه وما يتبعهما من حركتين هما ، و . وأخيراً أتينا ببعض

الاقتراحات لتيسير الاملاء العربي هي اعادة الالف المحذوفة من أسماء الاشارة وأمثالها من الكلمات ، وحذف الالف الزائدة من الافعال المجموعة ، وحذف الالف المقصورة والاستعاضة عنها بالالف الطويلة في جميع الكلمات المقصورة أسماء كانت أم أفعالاً أم حروفاً ، وحذف الالف من كلمة مئة وتركيباتها .

وها نحن نقدم للقارىء نموذجين من الكتابة على الاسلوب الذي نقترحه أحدهما فقرة من مقدمة ابن خلدون والثاني خبر برقي نشر في الجرائد ، (الرسم ٦ و ٧) وجدول كامل للحروف والحركات كما نقترح أن تكون (الرسم ٨) .

***

٨ — اصلاح خط والحكومات العربية

وفي الختام لابد من القول ان اصلاح الخط العربي ليس قضية اقتراح او مجهود شخصي ولا هو في شأن قطر عربي واحد ، إذ أن ما بين الاقطار العربية الآن من اتصال ثقافي وثيق وتبادل واسع للمطبوعات ، يمنع ان يستقل أي قطر في القيام بمشروع لاصلاح الخط . فلا بد اذاً من تعاون البلاد العربية وحكوماتها في هذا الامر . ولعلّ هذا الموضوع من أفيد الموضوعات التي يمكن بحثها في المؤتمر أو المؤتمرات الثقافية المقترح عقدها بين البلاد العربية فيؤلف المؤتمر هيئة من الخبراء لدرس موضوع اصلاح الخط وتمحيص جميع الاقتراحات المقدمة بشأنه ورفع تقرير ينطوي على اقتراحات عملية عن هذا الاصلاح . فان أقرها المؤتمر عملت الحكومات العربية على تطبيقها بأن تعممها في مطابعها الرسمية ، وبأن تساعد المطابع الخصوصية على تبديل حروفها ، إذ ان كثيراً من المطابع قد لا يستطيع تحمل نفقات تبديل الحروف بكاملها .

ان موضوع اصلاح الخط عظيم الاهمية للبلاد العربية ولمستقبلها الثقافي ، وقد تكون معالجته فاتحة حسنة للمؤتمرات الثقافية المؤمل اقامتها في المستقبل القريب .

دكتور رشدي عفراوي
عميد دار المعلمين العالية ببغداد

تحقيق

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

يضم هذا الكتيب طائفة من شعراء العرب الذين عرفوا بنسبتهم إلى أمهاتهم وهو ضرب من التأليف طريف ، يعالجه إعلم من أئمة الاخبار والأنساب ورواية الشعر ، وهو محمد بن حبيب. ومن هذا الكتاب نسختان في دار الكتب المصرية : إحداهما برقم ٦ مجاميع ش ، وهي التي رمزت إليها بحرف أ . والثانية برقم ٥٧ ش أدب ، وقد رمزت إليها برمز ب .

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

صنعة محمد بن حبيب وتصنيفه ، من رواية عثمان بن جني رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قرأت على أخي محمد قال : سمعته يُقرأ على أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة[1] قال : قرأت على ثعلب[2] قال : قال أبو جعفر محمد بن حبيب :[3]

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي الواسطي ، أبو عبد الله الملقب نفطويه . كان عالما بالعربية واللغة والحديث ، أخذ عن ثعلب والمبرد ، وكان فقيها على مذهب داود الظاهري وألف فيه . وكان بينه وبين ابن دريد مخاصمة ، وهو القائل فيه :

ابن دريد يقرض وفيه غي وشره

وله من التصانيف : إعراب القرآن ، المقنع في النحو ، الأمثال ، المصادر ، أمثال القرآن ، وغيرها . ولد سنة ٢٤٤ وتوفي سنة ٣٢٣ . انظر إرشاد الأريب ، وبغية الوعاة ، وابن النديم ٧٨ .

(٢) هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني البغدادي ، أبو العباس ثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، لازم ابن الأعرابي في نيف وعشرين سنة ، وأخذ عن محمد بن سلام الجمحي وسلمة بن عاصم وخلف ، وروى عنه المبرد والأخفش الأصغر ، ونفطويه ، وأبو عمر الزاهد . وكان بينه وبين المبرد قرابة . وأشهر تصانيفه كتاب الفصيح . ولد سنة ٢٠٠ وتوفي سنة ٢٩١ . انظر بغية الوعاة ، وابن خلكان ١١٠ : ١١١

(٣) هو محمد بن حبيب أبو جعفر . قال ياقوت : من علماء بغداد بالنسب واللغة والشعر والأخبار والأنساب ، ثقة مؤدب ، ولا يعرف أبوه ، وحبيب أمه ، روى كتب الكلبي ومصنفاته ، وكانت أمه مولاة محمد بن العباس الطائي . وقال ابن النديم مرة : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو ، ثم روى عن عبد العزيز الطائي قال كان محمد بن حبيب ، إلى أن يدعي لبني العباس ، من محمد ، وكانت أمه حبيب مولاة لهم ، روى عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة وأبي اليقظان ، وله مصنفات [illegible] عن حمزة والفرزدق ، توفي ببغداد سنة ٢٤٥ . انظر ابن النديم ١٥٥ وبغية الوعاة . ومن نسبه نسرع سر أخيه بهذا البيت

- ذكر من نسب إلى أمه من الشعراء :

١ — (ابن شَعُوب) أمه شَعُوب من خزاعة ، واسمه عمرو بن سُحَيّ بن كعب ابن عبد شمس بن مالك بن جَشَمة بن عُويرة بن رِشْجم بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة. وهو الذي يقول :

ماذا بالقليب قَليب بدرٍ من القَينات والشُّرب الكرامِ
وماذا بالقليب قَليب بدرٍ من الشِّيزى تكلَّلُ بالسَّنامِ
تحيِّي بالسلامة أمُّ بكرٍ وما لي بعد قومي من سَلامِ
يخبِّرنا النبيُّ بأن سنحيا وكيف حياة أصداءٍ وهامِ

وله شعر كثير ، قاله وهو كافر ، ثم أسلم بعد .

٢ — و (ابن أم حَوْرِيّ) من بني الحارث بن هَمّام ، شاعر أغار على بني يربوع ، فلحقه منهم قوم ، فقاتلهم حتى أحرز غنيمته ، وقال :

نحن بني الحارث قد علمنا لا يُؤخذُ النهبُ الذي حوينا
أبالصياح عوَّلوا علينا إنا إذا صِيح بنا أبَيْنا
لا نحمِلُ الطَّعن بِنَقدِ دَيْنا

٣ — و (عَطّاف بن بَشَّة[1] الشيباني) ، قال لخاله عديّ بن ضبّ :

عديَّ بنَ ضبٍّ من تكن أنتَ خالَهُ أخا أمِّ تُدلِجْ بلُومٍ ركائبُه

وقال : وطالبِ وترٍ قد أتى الليلُ دونَهُ وما سَبَقَتْ وترٍ أدركَ اليوم أو غدا

وقال : أنا ابن الذي لم يُخزِني في حياته ولم يخزِهِ عند الوفاة بلائيا

٤ — و (ابن طَرَفة) الشيباني ، واسمه ناصر بن عاصم[2] وأمه «طرفة» أمَة أو أخيذة من آل ذي الجدَّين ، قال[3] :

تعطَّفَ القومُ على عَطّافِ بين بني الحارثِ والأحلافِ

٥ — و (ربيعة بن غزالة) الكندي[4] شاعر حليف بني شيبان، وأمه غزالة . قال :

---

(١) في المؤتلف ٢٩٩ : «بشة» بالنون .

(٢) في المؤتلف ١٤٨ أن ابن طرفة الشيباني من آل ذي الجدين . وفصل بينه وبين ابن طرفة الفزاري ، ونسب هذا الفزاري بضم بن هيم بن عتبة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري . وقد جعلهما ابن حبيب عن واحداً . و نظر ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٣٣ .

(٣) يهجو عطاف بن بشة الشيباني كما في المؤتلف ١٤٨ .

(٤) اسمه ربيعة بن عبد الله بن ربيعة بن سلمة بن الحارث بن سدوس بن عدي بن أشرس بن شيبان بن السكون ، شاعر جاهلي أدرك الإسلام ولم يسلم . وينسب أيضاً «السكوني» بفتح السين ، نسبة إلى السكون بن أشرس بن ثور بن كندي . نظر الاشتقاق ٢١١ والمؤتلف ١٢٥ والإصابة ٢٢٢٧ وألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٤٠ .

كأني إذ وضعت الرحل فيهم بمكة حيث حلّ بها هشامُ[1]

٦ — و (ابن حَمِيصَة الأسدي) وهي أمه ، واسمه عبد بن مُحَرِّض ، أحد بني ثعلبة ابن سعد بن دُودان من بني أسد ، شاعر ، وهو الذي يقول :

من أخطئهُ ولادتنا فإنا ولدنا سيِّد الناس الوليدا[2]

٧ — و (السَّنْدري بن عَيْساء[3] الجعفري) وهي أمه ، أَمَة لشريح بن الأحوص ابن جعفر[4] . وهو الذي يقول :

هل فيكمُ يوم كيوم جِسْله يوم أتتنا أسدٌ وحنظله
والمِلِكان والقطينُ أزفلَه[5] تعلوهم بقُضبٍ منتخَله
لم تَعْدُ أن أفرغَ عنها الصَّقله[6]

وقال : أنا لمن يسأل عني السَّنْدَري أنا الغلام الأحوصيُّ الجعفري

٨ — و (حبيب بن خُدرة الهلالي) خارجي[7] ، كان مع شبيب ، وذُكر أنه أدرك الحكمين ، وبقي حتى أدرك الضحاك الذي أخذ بالكوفة . وقال :

نبيتُ بني فِهر غداة لقيتهم وحتى نُصيب والظنون تطاعُ
فقلت لهم إن الخريبَ وراءكم بها نعمٌ يرعى السِّرارَ وقاعُ[8]
ولكن فيه السم إن ربيعَ أهله وإن يأته قومٌ هناك يراعُ

وقال : تفرقتم أن تذكروا لحيّ بيضة فظلّ لكم يومٌ إلى الليل أشنع[9]

---

(١) ا : « بهاشم » تحريف .

(٢) أخطئه ، هي أخطأته ، سهل همزتها ثم عاملها معاملة المثل لحذف الألف للجازم ، ف : « أخطأته » تحريف ، صوابه في ا .

(٣) عيساء ، مؤنث الأعيس ، وأصله في الإبل الأبيض يخالط بياضه شقرة ، وبه سميت المرأة . وفي ا : « عيساء » بالوحدة ، تحريف . وقد جاء على الصواب الذي أثبت في كتاب ألقاب الشعراء الملحق بكتاب أسماء المغتالين من الأشراف لمحمد بن حبيب ، المخطوط في دار الكتب المصرية برقم ٢٦٠٦ . انظر منه ص ١٣٤ وكذا الأغاني (١٥ : ٥٣) .

(٤) في المؤتلف ١٢٥ أنه السندري بن يزيد بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وهو ينسب أيضاً « الكلابي » . وفي الأغاني ان « عيساء » اسم جده .

(٥) الأزفلة : الجماعة من الناس

(٦) أي إلا تجاوز أن أقام عنها الصقلة . والرجز منسوب في اللسان (٨ : ٢٢١) الى يزيد بن عمرو ابن الصعق ، وفي معجم البلدان إلى وعل من بني عامر .

(٧) في القاموس : « حبيب بن خدرة تابعي » .

(٨) الخريب : وادكانت به وقعة لبني سعد بن تميم . وفي الأصل : « الخريب » بالباء ، تحريف . وقد أنشد هذا البيت ياقوت ونسبه إلى عمرو بن شأس الكندي . وعجزه عنده : « به إبل ترعى السرار » .

(٩) صدر البيت تحرف ، وموضع كلمة « تذكروا » بياض في ف .

كأني إذ وضعت الرحل فيهم بمكة حيث حَلَّ بها هشامُ[1]

٦ — و (ابن حَجْلة الأسدي) وهي أمه ، واسمه عبد بن مُحَرِّض ، أحد بني ثعلبة ابن سعد بن دُودان من بني أسد ، شاعر ، وهو الذي يقول :

من أخطئهُ ولادتنا فإنا ولدنا سيِّد الناس الوليدا[2]

٧ — و (السَّندري بن عَيْساء[3] الجعفري) وهي أمه ، أَمَة لشريح بن الأحوص ابن جعفر[4] . وهو الذي يقول :

هل فيكم يوم كيوم جبله يوم أتتنا أسدٌ وحنظله
تيم والمليكان والقطينُ أزلَّه[5] نعلوهم بقُضبٍ منتخَله
لم تَنْدُ أن أفرشَ عنها الصَّقله[6]

وقال : أنا لمن يسأل عني السَّندري أنا الغلام الأحوصيُّ الجعفري

٨ — و (حبيب بن خَدرة الهلالي) خارجي[7] ، كان مع شبيب ، وذُكر أنه أدرك الحكمين ، وبقي حتى أدرك الضحاك الذي أُخذ بالكوفة . وقال :

حيثُ بني فِهر غداة لقيتهم وحتى نُصيب والقنون تطاعُ
فقلت لهم إن الحريبَ وراكبًا بها نعمٌ يرعى السرارَ رتاعُ[8]
ولكن فيه السم إن ربيعَ أهله وإن يأته قومٌ هناك يراعُ

وقال : تعرفتم أن تذكروا لي بيضة فظلّ لكم يومٌ إلى الليل أقنع[9]

---

(١) ا : « بهاشم » تحريف .

(٢) أخطئه ، هي أخطأته ، سهل همزتها ثم عاملها معاملة المعتل لحذف الألف للجازم ، ف : « أخطأه » تحريف ، صوابه في ا .

(٣) عيساء ، مؤنث الأعيس ، وأصله في الإبل الأبيض يخالط بياضه شقرة ، وبه سميت المرأة . وفي ا : « عيساء » بالموحدة ، تحريف . وقد جاء على الصواب الذي أثبت في كتاب ألقاب الشعراء الملحق بكتاب أسماء . ابتنا لي من الأشراف لحمد بن حبيب ، المحفوظ في دار الكتب المصرية برقم ٢٦٠٦ . انظر منه ص ١٣٤ وكذا الأغاني (١٥ : ٥٣) .

(٤) في المؤتلف ١٢٥ أنه السندري بن يزيد بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وهو ينسب أيضاً « الكلابي » . وفي الأغاني أن « عيساء » اسم جده .

(٥) الأزلة : الجماعة من الناس

(٦) أي لم تجاوز أن أقام عنها الصقلة . والرجز منسوب في اللسان (٨ : ٢٢١) الى يزيد بن عمرو ابن الصعق ، وفي معجم البلدان إلى رجل من بني عامر .

(٧) في القاموس : « حبيب بن خدرة تابعي » .

(٨) الحريب : واد كانت به وقعة لبني سعد بن ثعلبة . وفي الأصل : « الخريب » بالخاء ، تحريف . وقد أنشد هذا البيت ياقوت ونسبه إلى عمرو بن شأس الكندي . وعجزه عنده : « به إبل ترعى السرار » .

(٩) صدر البيت تحريف ، وموضع كلمة : « تذكروا » بياض في ب .

هاجتك أطلالٌ ومُستبرَكُ قفرٌ خلا منذ أجيل أهلها حججٌ عشرُ[1]

١٤ — و(العريان بن أم سهلة النبهاني) وهو من طيّئ، قال:

لمن الديار غشيتها بسحام فمدافعَ العينين جانب الشرداح
جنوب فيحان كأن رسومها حُلَلٌ يمانيةٌ على ألواح

١٥ — و(ابن السَّجراء) من خُرفة جهينة. قال: وخرفة هم بنو خميس بن عامر مردوعة من جهينة، كانوا حلفاء للحصين بن الحمام السهمي من بني سهم بن مرة، وبشامة ابن المنذر السهمي. قال ابن سجراء يوم داوة موضوع:

لمّا أتانا جمعُ قيس وواجهت كتائب خرس بينهنّ زفيفُ
فلما علت دعوى خميس بن عامر وقد كلّ مولانا وكاد يحيفُ
هممنا به ثم ارعوينا حفيظة فذلّ بنا فاشٍ وعزّ حليفُ

١٦ — و(حميد بن طاعة السكوني[2]) قال:

ولما استقلّ الحي في رونق الضحى تبيّنَ الرسايا والحديث المجمجما
وكان لمُرحٌ من خصاصٍ ورقبةٍ مخافة أعداء وطرفا مقسّما
ولما لحقنا لم يقل ذو لبانة لهمّ ولا ذو حاجة ما تيمما
من البيض مكسال إذا ما تلبست بمقتل امرئ لم ينج منها فسلما

وقال عمر بن الخطاب:

إنك مسترعًى وإنا رعيّةٌ وإنك مدعوٌّ بسيماك يا عمرُ
لدى يوم شرٍّ شرُّه لشراره وخيرٌ إن كانت معائشه الخيسرُ[3]

وقال: ما إن رأينا مثلك ابن الخطاب أبرّ بالدين وبالأحساب

بعد النبي صاحب الكتاب

١٧ — و(ابن الدمينة الخثعمي) واسمه عبد الله. وله شعر كثير[4].

١٨ — و(يزيد بن ضَبّة) أمه ضَبّة[5]، وأبوه مقسم، وهو كثير الشعر، وهو

(١) في الأصل: «حبيتك» محرف. وفي المرزباني: «ومنزلة قفر».
(٢) جعله الآمدي ص ١٤٩: «السكوني»، نسبة إلى «سكو» بفتح السين وسكون الكاف، وهو أبو بطن.
(٣) ا: «معائشه» معايش: جمع معيشة، وفيها شذوذ من همز الياء الأولى، وإلحاق الياء الثانية وإلحاقها مذهب للكوفيين يجيزونه. وأثبت ما في ب.
(٤) انظر الأغاني (٥: ١٤٤ — ١٥٠).
(٥) في ا: «ضبة»، بالنون وفي ب: «ضبة» لكن أصلحت في النسخة فجعلت: «ضبة» بالباء.

مولى لثقيف . وهو الذي يقول :

مُنِيُ البريّ مع المقارف تهمة ويُرى البريّ مع السقيم فيُسلطُ

وهو الذي يقول :

صبا قلبي إلى هند وهند مثلها يصبي

١٩ — و (ابن الطَّثْرية [1]) وهو ابن عبيد بن عمرو بن الحارث بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم [2] ، وهو الذي يقول :

ألا عتبت عليّ وصرّمتني وأعجبها ذوو اللمم الطوال
فإني يا لبنةَ السعدي أربي على فعل الوَضيّ من الرجال

٢٠ — و (ابن فسوة) فهو عُتيبة بن مرداس الكعبي [3] . وإنما قيل له ابن فسوة لأنه نزل بهم رجل من عبد القيس يقال له ابن فسوة ، فكان يعيّر به . فقال له مرداس : أنا أشتري منك هذا الاسم بكبش ، فاشتراه ، فقال [أخو] عتيبة : [4]

حوّل مولانا علينا اسم أمه ألا ربَّ مولىً ناقص غير زائد

٢١ — و (ابن الهيجُمانة العبسي) لم نعرفه ، وذُكر أنّ الهيجمانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم .

٢٢ — ومن شعراء ربيعة (ابن أم الحزنة العبدي) وأم حزنة أمه ، وهو ثعلبة بن حزْن بن زيد مناة بن الحارث بن ثعلبة بن سَليمة بن مالك بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لُكيز بن أفصى بن عبد القيس . وله شعر كثير .

٢٣ — و (عمرو بن مبردة) ، عبدي . [5]

٢٤ — و (ابن الذبية) وهي أمه ، امرأة من فهم ، واسمه ربيعة بن عبد يالبل ، واسم الذبية قِلابة ، فلقبت الذبية . وهو الذي يقول :

---

(١) الطثرية : أمه ، من بني الطثر ، بالفتح ، وهم حي من اليمن . قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » . وضبطها صاحب القاموس بالتحريك ، والوجه الاسكان كما جاءت مضبوطة به في نسخة ليدن من الشعراء . انظر شرح الديوان (٦ : ١٣٧) .

(٢) كذا ورد في النسختين ، وهذا النسب يخالف ما في كتب التراجم ، فلعل في الكلام سقطاً .

(٣) في الأغاني (١٩ : ١٤٣) وكذلك ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٨ — ١٢٩ : « عيينة » ، ويدل على صواب ما هنا قول ابن قتيبة في الشعراء : « هو عتيبة ويقال عتبة » .

(٤) التكملة من كتاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٩ .

(٥) ذكره المرزباني في المعجم ٢٤٠ وقال : « هو أحد بني مخاوب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ... وهو إملاقي أنشد عبد الملك بن مروان لما التقى بنوه فسبق مسلمة — وكان ابن أمة — :

« نهيتكم أن تحملوا هجناءكم على خيلكم يوم الرهان فتدركوا »

إني لمن أنكر لي ابن الذبية كريمة عفيفة منسوبه

٢٥ — و (شبيب بن البرصاء[1]) ، وهي أمه ، وهو شبيب بن يزيد بن جمرة[2] بن عوف بن أبي حارثة ، وأمه القرضابة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وأختها عمرة بنت الحارث أم عقيل بن علّفة[3] . وهو الذي يقول :

قامت وأعلى خلقها في ثيابها قضيبٌ وما تحت الازار كثيبُ
وقال: لا خير في العيدان إلاّ صلابها ولا ناعضات الطير إلاّ صقورُها
تبيّنُ أدبارُ الامور إذا القضت وتقبل أشباهاً عليك صدورُها

٢٦ — وبعض (بني أم قرفة) وأم قرفة اسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزاري ، وأبوهم مالك بن حذيفة بن بدر تزوج ابنة عمه .

٢٧ — و(ابن ميادة المري) من بني غيظ بن مرة ، واسمه الرماح بن الأبرد بن ثوبان[4] كثير الشعر . وهو الذي يقول :

إعزز مييي ميّاد للقوافي واستمعيني ولا تخافي[5]
وقال : ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بحرّة ليلى حيث ربّتني أهلي
وهل أسمعنّ الدهر أصوات مجمة تطالع من مجل قريب الى مجل[6]

يقال ربيت الصبي أربه ربا فأنا رابّ وهو مربوب ، وربيته أربّيه تربية فأنا مربّ وهو مربى ، وربّيته أربّيته تربيتاً فأنا مربّت وهو مربّت . ويقال ربيت في بني فلان وربوت فيهم وتربيت وتربّبت ، كله فصيح مقبول.

٢٨ — و (بشامة بن الغدير) وهي أمه ، وهو بشامة بن عمرو بن هلال[7] بن وائلة بن

(١) قال ابن دريد : « كان النبي صلى الله عليه وسلم خطب البرصاء إلى أبيها فقال : إن بها سوءاً — وهو كاذب — فرجع فوجد بها برصاً » وسماها ابن حبيب في ألقاب الشعراء ١٣٢ « أمامة بنت الحارث بن عوف » .

(٢) ويقال : « حزة » ويقال : « خمرة » . انظر حواشي الاشتقاق ١٧٦ . وفي ألقاب الشعراء ١٣٢ : « حيوة » .

(٣) في الأصل : « علقمة » وهو تحريف . انظر حواشي الاشتقاق .

(٤) في الاغاني « أبرد بن ثوبان » وفي المؤتلف « ابرد بن ربان » . وفي معجم البلدان : « الرماح ابن يزيد وقيل ابن الأبرد » . وفي ألقاب الشعراء ١٣٢ : « الرماح بن الأبرد بن مرداس » .

(٥) الاعززام : الاجتماع والتقبض . وفي الاصل : « أعزرمو » والصواب ما أثبت كما صححت ذلك في ب ، وفي ا : « واستمعون » ، محرفة .

(٦) في معجم البلدان (٣ : ٢٦٠) : « من هجل خصيب » . وروى ياقوت هذين البيتين في خمسة أبيات قالها ابن ميادة حين استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك فاستقدمه وأقام عنده دهراً ثم اشتاق الى وطنه .

(٧) في الأصل : « ثلاث » والصواب ما أثبت . وانظر المؤتلف ٦٦ ، ١٦٣ والمفضليات (١ : ٥٣ طبع المعارف) .

سهم بن مرة. كثير الشعر. وهو الذي يقول:

فإنكم وعطايا الرها ن إذ جرّت الحرب حلاً جليلا
كذوب ابن بيض وقاهم به فسد على السالكين السبيلا (١)

٢٩ — وأخوه (أسعد بن الغدير) شاعر، وهو خال أبي سلمى (٢) زهير بن أبي سلمى الشاعر.

٣٠ — و (زميل بن أم دينار) أبوه أبير بن عبد مناف، من مازن بن فزارة، وهو قاتل ابن دارة. وابن دارة اسمه سالم بن مسافع بن عقبة بن ربوع. هو دارة القمر، سمي دارة، شبه بدارة القمر لحسنه، وهو من بني عبد الله بن غطفان. وزميل الذي يقول:

أبلغ فزارة أني قد شريت لهم عند الحياة بسبي بيع ذي الخلق
وقال: أنا زميل قاتل ابن داره وكاشف الخزاة عن فزاره
ثم جعلت عقله البكاره

٣١ — و (قعنب بن أم صاحب الفزاري (٣)) وهو الذي يقول:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدرُ

وهو الذي هجا الوليد بن عبد الملك فقال:

فقدت الوليد وأنفاً له كشيل البعير أبى أن يبولا

٣٢ — (وابن أم حزنة) (٤) وأم حزنة أمه وهو ثعلبة بن حزن بن زيد مناة بن الحارث ابن ثعلبة بن سليمة (٥) بن مالك بن عامر بن الحارث بن [أنمار بن عمرو بن] وديعة بن لكيز ابن أفصى. شاعر، وهو الذي يقول:

بينكم أن تحملوا هجاءكم على خيلكم يوم الرهان فتدركوا

٣٣ — و (بشر بن شلوة النهلي) وشلوة أمه. وهو بشر بن سوادة (٦). وهو الذي

---

(١) انظر شرح البيتين في المفضليات (١: ٥٨).
(٢) أبو سلمى كنية زهير بن أبي سلمى، كما في كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٢٣ من مصورة دار الكتب. وقد زاد الشنقيطي كلمة: «أبي» قبل «زهير» فزعم به إلى ما ذكرت.
(٣) هو قعنب بن ضمرة، أخو بني سعد بن عمرو بن خديج بن عوف بن ثعلبة بن بهثة كما في أدب الشعراء ص ١٣٣. وقيل: أحد بني عبد الله بن غطفان، وكان في أيام الوليد بن عبد الملك. انظر شرح التبريزي للحماسة (٤: ٢٤).
(٤) هذا تكرار لما سبق في رقم ٢٢.
(٥) كذا ضبطت في الأصل بالضم. وفي الاشتقاق ٢٩٢ بفتح السين.
(٦) انظر المؤتلف ٦٠. وضبطت «شلوة» في الأصل هنا بالفتح. وقال ابن حبيب في ألقاب الشعراء ١٣٦: «أحد بني مالك بن بكر بن حبيب».

يقول في يوم ذي قار ، وكان مع الفرس :

لما سمعت نداء مرة قد علا وأبو ربيعة في الغبار الأقتم

٣٤ — و (ابن الواقفية [1] السدوسي) ينسب إلى أمه من أمهاته . وهو عبد الله ابن عبد العزى كليب [2] بن الحارث بن سدوس ، شاعر قال :

أتاني عن أبي بكر ألوك يخب بها المبين والنذير

وقال :

ألمّ خيال العامرية موهناً خيال بأعلى حضرموت غريبُ
أرى المرء أمسى للحوادث غاية نوائبه تغتاله فيصوبُ

وقال يهجو ابن عنمة الضبي [3] :

إن الشاعر الضبي عبد كرائدة النعامة مستعارُ

وقال يمدح المرقزان [4] :

لمن الديار بجانب الغمر آياتهنّ كواضح السطر
يا جار أعطاك الإلـه كما أنبى عليك أخو بني جسر
فلأنت أكسبهم إذا افتقروا ولأنت أجودهم إذا ثَرِي

٣٥ — و (ابن دغماء العجلي) أمه دغماء بنت مرة ، أخت جعْونة بن مرة ، وهو الذي يقول لسويد بن حطان ، وكان سويد الضبعي نزل في بني عجل فانتسب إلى مرة أبي جعونة [5] فقال أنا سويد بن حطان بن مرة ، فقال ابن دغماء :

لعمرك ما أدري وإني لسائل سويد بن حطان بمتّ وما أدري

---

(١) في الأصل : « الراقية » . تحريف ، وهي بالواو نسبة إلى بني واقف ، وهم بطن من الأنصار ، وواقف لقب مالك بن امرىء القيس . انظر القاموس (وقف) والاشتقاق ٢٦٥ وانظر ابن قتيبة في المعارف ص ٥٠ .

(٢) كذا في الأصل . ولعله : « من بني كليب بن الحارث بن سدوس » .

(٣) هو عبد الله بن عنمة بن حرثان بن ظبية بن كليب بن الحارث بن سدوس من مالك بن بكر بن سعد ابن ضبة . « وعنمة » بفتح العين المهملة والنون والميم . وفي ا : « شنمة » تحريف . قال البغدادي : « الظاهر أنه من المخضرمين » . الخزانة (٣ : ٥٨٠) .

(٤) المرقزان لقب له ، واسمه الحارث بن شريك بن مطر ، قالوا : « وإنما سمي المرقزان لأن قيس بن عاصم اقتلعه من مرجه المرمح . وكل ما قلعته من موضعه فقد مرقزته » الاشتقاق ٢١٥ .

(٥) في الأصل : « مرة بن أبي جعونة » وكلمة « بن » مقحمة .

سوى أنكم دوبتم فجريتم على دوبة والضب يختل بالتمر (١)
فما أنتم منا ولا نحن منكم دعاوة كذب أنتم آخر الدهر

فغضب جمونة خال ابن دغماء ، فقال :

ان ابن دغماء الذي حدثته بيض الدجاجة لا يحس له أب
إلاّ الرماد فإنها اعتركت به بين الرماد وبين أمك تنسب (٢)

٣٦ — و (عبد المسيح بن عسلة الشيباني) أمه عسلة بنت عامر بن شراكة من غسان ، إليها ينسبون (٣) وهو شاعر . قال :

يا كعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الجرم
لصحوت والنسري يحسبها عم السماك وخالة النجم (٤)

٣٧ — وأخوه (حرملة بن عسلة) قال له المنذر بن ماء السماء : اهج الحارث بن أبي شمر فقال :

ألم تر أني بانت الشيـ ـب في دار قومي عفًّا كوبا (٥)
وأنّ الإلـه تنصفتـه بألاّ أصبّ وألاّ أحوبا
وألاّ أكافر ذا نعمةٍ وألاّ أخيبه مستثيبا
وغسّان حيّ همُ والدي فهل ينسينهم أن أغيبا
فآثرْ بها بعض من يعتريك فانّ لها من معدّ كليبا

---

(١) رواه الجاحظ في الحيوان (٦ : ٦٢) : « يحبل بالتمر » وقال : « يحبل صيده بالتمر كصيد الحبالة » . والضب والعقرب يصيدان بالتمر صيداً شديداً .

(٢) مما يزعم العرب أن بيض الطير يتولد حياً من التراب ومن الريح . قال الجاحظ في الحيوان (٣ : ١٧١) : « والبيض الذي يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف ، وهو في الطيب دون الآخر . ويكون بيض الريح من الدجاج والقبج والحباء والطاوس والاوز » .

(٣) أبوه أبو حكيم بن عنبر بن طارق بن قيس بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . انظر المؤتلف ١٥٧ وشرح الأنباري للمفضليات ٥٥٦ وما ورد من التحقيق في المفضليات (٢ : ٧٨ طبع المعارف) .

(٤) انظر لفهم هذا البيت ما ورد في جو المفضليات . وفي الأصل : « والنسري يحسبه عم السماك وخاله النجم » وهو تحريف .

(٥) رواية الخزانة (٤ : ٢٣٠) : « بانت الشبا » وفي دار قومي » .

فأجبري عمارة بن العيّف السعديّ [١] من سليمة بن عبد القيس ، وهم حلفاء في بني شيبان في بني سعد ، فقال :

لا هم إنّ الحارث بن جبله عقّ أباه ظالماً وقتله
وأيّ فعل سيء لا فعله [٢]

٣٨ — و (عنان بن وَصيلة) وهي أمه [٣] . وهو عنان بن شراحيل بن شريك ابن عبد الله بن الحصين بن أبي عمرو بن عوف بن مرة بن ذهل بن شيبان

٣٩ — و (عمرو بن الاطنابة) وهي أمه [٤] ، وهو الذي يقول :

قرت أحسابنا كرماً فأبدت لنا الضرّاء عن أدم صحاح
ولم يُظهر لنا عُقراتر سوء جمودُ القطر أو بلة القاح

[في ختام نسخة (ا) نجز الكتاب والحمد لله رب العالمين . نقلت جميعه من نسخة نقلت جميعها من خط أبي الفتح عثمان بن جني وصححها رضي الدين الشاطبي رحمهما الله.

وفي نسخة (ب) : « قال في أصل هذا: نجز الكتاب . . الخ » وزاد : « ونجزت هذه النسخة في يوم الاثنين المبارك ١٤ صفر الخير سنة ١٣٠٠ بالمدينة المنورة رحم الله كاتبها ومستنسخها والمسلمين أجمعين].

عبد السلام محمد هارون

(١) ينسب الرجز أيضاً إلى «شهاب بن العيف» . وفي نسخة البغدادي من كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء : «عامر بن العيف» . (انظر الخزانة ٤ : ٢٣١)

(٢) انظر رواية الرجز وتمامه في الخزانة.

(٣) عنان ، بكسر العين ، ووصيلة بفتح الواو . انظر الاشتقاق ٢١٩ . وفي معجم المرزباني ٢٦٦ : «عنان بن أصيلة ، يقال وصيلة ، الشيباني. وأصيلة أمه وهي من بني عمر» . وأورد من شعره قوله لعبد الملك ابن مروان :

فبلغ أمير المؤمنين رسالة وذو النصح لو يرعى إليه قريب
بأنك إلا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب
تلن بك منكم كان مروان وابنه وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فما سويد والبطين وقعنب وما أمير المؤمنين شبيب

والبيت الأخير نصفه يتداولها الرواة.

(٤) عمرو بن الاطنابة شاعر جاهلي . وأمه الاطنابة بنت شهاب بن زبان ، من بني الديان بن جسر وأبوه عامر بن زيد مناة بن مالك بن نخلة بن كعب بن الحرث . انظر المرزباني ٢٠٣ والكنى والألقاب لابن حبيب ١٣٩ . وأصل الاطنابة سير يشد في دُور القوس العربية تحرق به . الاشتقاق ٢٦٨

فيلسوف العرب

والمعلم الثاني

تأليف الاستاذ مصطفى عبد الرازق باشا الرئيس الفخري للجمعية الفلسفية . والكتاب من منشورات الجمعية الفلسفية المصرية ، ويقع في ١٢٦ صفحة من القطع الكبير ، ونشرته دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م .

صدّر هذا الكتاب بعبارات غاية في الجودة ، إذ أشار حضرة رئيس الجمعية الدكتور علي عبد الواحد وافي ، وسكرتيرها العام الدكتور عثمان أمين إلى تهيب الناس من قراءة الفلسفة أخذاً منهم بفكرة فيها تجانب الصواب ، إذ خيل اليهم أن الفلسفة ترادف في اللغة الكلام الغامض والأقوال المبهمة والصيغ المعقدة والأفكار المجردة . جاء في ذلك التصدير :

«ولعلّ السبب في تهيب الناس لبحوث الفلسفة أن بعض المشتغلين بها قديماً وحديثاً قد عمدوا إلى التعمية والإبهام ، فصاغوا موضوعاتها في مصطلحات وعبارات غريبة ، وألقوا بذلك على حقائقها حجباً وأستاراً ، وبعدوا بها عن الحياة والواقع » .

« وإذا أراد الله بالفلسفة خيراً ألهم أهلها أن يسلكوا سبيلاً أخرى ، فيعنوا بالشئون الانسانية ، وبالأمور التي يتجه اليها التفكير في كل زمان ومكان ، ويعالجوا بحوثهم في أسلوب سائغ جذاب يفتح باب الفلسفة على مصراعيه لجمهور المثقفين » اه ..... وهذه فاتحة مباركة إن شاء الله .

القصد من النقد المقابلة والتحليل ، وأساسه حرية الفكر . عنصران يقوم عليهما النقد الصحيح ، فاذا استطاع الناقد أن يتجرد مع هذا من أحاسيس التحامل والتحير ، جاء نقده أقرب ما يكون إلى الغاية المرجوة من النقد ، وجاءت أحكامه أوفى ما يمكن من الترجيحات المعقولة . ذلك بأن إرسال الاحكام القطعية ، سواء أفي الفلسفة ، أم النقد ، ارسالاً لا تبرره المقدمات التي يقوم عليها الحكم ، هي من الأشياء التي أضعفت الفلسفة وأضعت النقد . لهذا نقتصر في نقد هذا الكتاب على جزء منه هو الخاص بالكندي فيلسوف العرب ، ثم نعود في عدد آخر الى نقد بقية أبواب الكتاب ، فان الفراغ والوقت لا يأذنان لنا بأكثر

من ذلك ، وقيمة الكتاب وقيمة مؤلفه ، تقضيان علينا بالنظر فيه نظراً يكون الى التقدير الصحيح جهد المستطاع .

يظهر لنا جلياً من هذا الكتاب أن الكندي ، فيلسوف العرب ، قد عاش حياً وميتاً . عاش حياً لأنه أول فيلسوف من العرب اشتغل بالعلوم والآراء الأجنبية ، وكانت وقفاً على غير المسلمين من حرانيين وسريان ويهود حتى زمان ظهوره وأخذه بما لم يعتد العرب الاشتغال به من أشياء العقل . وظل ميتاً لأن آثاره قد ضاعت فلم يبق منها ما يمكن أن يتخذ ركيزة لبحث يظهرنا على أصل حكمته . فكان بذلك أول عربي واجه العاصفة ، عاصفة الآراء التي قامت في عصره ، فألقته صريعاً وتركته في حياته موضع سخرية أهل الفراغ ، وبعد مماته موضع العطف من الأخلاف الذين لم يجدوا أمامهم من شيء يصلحون به ما أفسد الدهر من أمر الكندي ، الا رحمة من الله يستمطرونها عليه .

ان تضارب أقوال المصادر القديمة عن الكندي متناقضة ، وتحليلها والمقارنة بينها من أصعب الأشياء ، فهي نتف وعبارات مقتضبة لا تزودك بشيء اللهم إلا بفكرات متنازة لا يصح أن تتخذ أساساً لنقد مستفيض قائم على نصوص شاملة

تقرأ في كتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » : « ومما اشتهر من كتب بطليموس وخرج الى العربية كتاب الجغرافيا في المعمور من الأرض . وهذا الكتاب نقله الكندي الى العربية نقلاً جيداً ويوجد سريانياً » . وفي كتاب طبقات الأطباء نقلاً عن أبي معشر : « حذاق الترجمة في الاسلام أربعة : حنين بن اسحق ، ويعقوب بن اسحاق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن الفرخان الطبري » . وفي الفهرست لابن النديم : « فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها » . ويقول صاحب كتاب أخبار الحكماء : « المشتهر في الملة الاسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية » (انظر ص ٢٢)

وتقع في الكتاب على ما يناقض هذا تماماً . ففي ص ٢١ إن الكندي كان « يقتحم غمار الفلسفة وما اليها من العلوم المنقولة عن يونان وفارس والهند ، ولا يجد فيما يترجمه النقلة غنى ، فيحاول إن يرد هذه العلوم في منابعها ، ويتعلم اليونانية ، ويترجم بنفسه ويصلح ما يترجمه غيره ، ويتصل بالثقافة اليونانية اتصالاً ظاهر الأثر في عواطفه وتفكيره » ..... حسن جداً ، هذا خير مستوى الأجزاء . ولكن اقرأ ما يليه :

« قال المسعودي في مروج الذهب — وقد كان يعقوب الكندي يذهب في نسب يونان إلى ما ذكرنا : انه أخ لقطحان ويحتج لذلك بأخبار يذكرها في بدء الأشياء ، ويردها من حديث الآحاد والافراد ، لا من حديث الاستفاضة والكثرة . وقد رد عليه أبو العباس

عبد الله بن محمد الناشي في قصيدة طويلة ووكّد خطأه نسب يونان بقحطان جاء فيها :

وتخلط يوناناً بقحطان ضلّة لعمري لقد باعدت بينهما جداً!

ومقابلة النقد هنا تظهرك على أشياء هي غاية في التناقض. فيلسوف يشتغل بحكمة اليونان وكان « يقتحم غمار الفلسفة وما يليها من العلوم المنقولة عن يونان وفارس والهند » — وقد تعلّم اليونانية وترجم بها وأصلح ما ترجمه غيره، يقول إن يونان أخ لقحطان، وشاعر يصحح له ما أخطأ فيه! وكيف يتفق لمن لا يعرف أن يونان شيء وقحطان شيء آخر، هذا أعجمي وذلك عربي، ان يكون عارفاً باليونان وعلومهم؟ والظاهر أن كثيراً من أهل العربية، ومنهم الكندي، كانوا يعتقدون أن يونان شخص لا قبيلة. وذلك يدل عقلاً على ان علمهم بتاريخ اليونان كان قريباً من لا شيء.

وجاء في ص ٢٤ : « ومع ممارسة الكندي للأدب وما إليه حتى قال صاحب كتاب « اخبار الحكماء » — وخدم الملوك مباشرة بالأدب — وحتى نقلوا عنه حكايات في نقد الشعر وفي الجدل في أسرار البلاغة العربية، وحتى ذكروا له أن له كتاباً في صناعة البلاغة، مع ذلك فان الأدب لم يكن هو الميدان الذي ظهرت فيه مواهب الكندي وآثار عبقريته ».

ومع إننا لم نقع على موضع واحد في الكتاب ظهرت فيه آثار عبقرية الكندي في غير مجال الأدب، فان في صحيفة ٢٦ ما يدلك على انه لم يكن بليغاً ولا أديباً في العربية : جاء ما يلي :

« روى عن ابن الانباري انه قال : ركب الكندي المتفلسف الى أبي العباس وقال له : إني أجد في كلام العرب حشواً. فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم، ثم يقولون : إن عبد الله قائم، ثم يقولون : إن عبد الله لقائم : والألفاظ متكررة والمعنى واحد. فقال ابو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ : فقولهم عبد الله قائم : إخبار عن قيامه، وقولهم : إن عبد الله قائم : جواب من سؤال سائل، وقولهم ان عبد الله لقائم، جواب عن إنكار منكر لقيامه. فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني، قال : فما أحار المتفلسف جواباً ».

فكيف يتفق لمن لا يعرف مثل هذه المعاني الأساسية البسيطة في العربية، أن يكون ممارساً للأدب وصناعة البلاغة؟ ولكن الظاهر اجمالاً ان الكندي بحكم أنه أول فيلسوف مسلم اشتغل بعلوم الأعاجم، وأنت تعلم ماذا كانت الأعاجم في نظر العرب المسلمين، قد حيكت من حوله شبكة من الدسائس ودبرت مؤامرة، جائز أن تكون بقصد، ولكن أكثرها كان بفعل عكسي من أفعال الوعي الديني قام في ذهن الناس في عصره، فلفقت هذه الروايات عنه

هدية الشهر

وصل إلينا ذلك الكتاب وعليه هذه الكلمات « الى جلالة المقتطف » وتحت هذه العبارة ختم عظيم مطموسة لا نعرف لمن ، ولكن يغلب الظن ان صاحبها تحت الحماية الكبرى انما للاستاذ طه حسين . وليس هذا اهداء ، وانما هو أمر يدعوه طه حسين لجلالة « المقتطف » او لغيرها من المجلات او الصحف ، والظروف تغير كما يخفى وراء هذه العبارة من أرهام ، وكلها ارهام تثير في النفس الدلالة ، دواعي الابتسامات المرة .

قرأت في سنة ١٩١٣ بحثاً في ملحق جريدة التيمس الادبي عن محاضرة ألقاها الفيكونت هولدين اوف كلون حامل أختام الملك في بريطانيا العظمى عنوانها « القومية السامية » Higher Nationality . فاستهواني ذلك البحث ورغبني في الاطلاع على اصل المحاضرة ، فبحثت عن نسخة منها في جميع مكاتب القاهرة وكتبت أطلبها من اكثر من أربعة أو خمسة . فكرت أن أكتب للفيكونت نفسه ، فجاءني منه نسخة عليها اهداء هذا نصه : « الى المحترم . . . أرجو أن تتقبلوا هذه الهدية المتواضعة من خادمكم المطيع : هولدين أوف كلون » وجاءني مع النسخة خطاب فيه بيان عن سبب كلمة الغاية اضطر أن يستعملها بحرفها الالماني ، هي كلمة Sittlichkeit لانه لم يجد ما يقابلها في لغته ، وخشي أن يكون قد أوجز في بيانها ، فجاء بكلمة يزيدني بها شرحاً وتعريفاً .

وكذلك نرى ان الغاية بين اهداء « هبة الملوك » للاستاذ طه حسين واهداء « القومية السامية » للفيكونت هولدين أوف كلون ، حامل أختام الملكة المتحدة البريطانية ، ومن أعاظم أدباء عصره وعلمائهم ، مما يثير في النفس الدلالة ، مرة ثانية ، دواعي الابتسامات المرة .

وسوف ننظر في هذا الكتاب ونقدره ، بالنقد الحر ، والتقدير اللائق به وبمؤلفه ، ولن يكون لتلك الدواعي التي تثير فينا الابتسامات ، من أثر في نقدنا . ونود قبل أن نقدم على نقده ، أن نصف هذا الاهداء المصبوب في قالب أسود ، بالنسبة للمقتطف ، فنقول فيه كلمة ، ملخصها انه يدل على إرتكاس سببه وهي باطن ، يحتاج إلى علاج .

تلفيقاً فُصِد به التأثير في موضعه من العلم ومنزلته من المجتمع ، ردًّا لأثره الفلسفي وقعوداً به عن الشيوع بين الناس . فينبغي اذن أن نأخذ كل ما يروى عن الكندي من مثل هذا بتحفظ شديد .

مثالنا على ذلك رواية الجاحظ عنه في البخلاء . جاء فيها .

وحدثني عمرو بن بحيري : قال تغديت يوماً عند الكندي فدخل عليه رجل كان له جاراً ، وكان لي صديقاً ، فلم يعرض عليه الطعام ونحن نأكل . وكان أبخل من خلق الله . قال

فاستحيت منه : فقلت : سبحان الله لو دنوت فأصبت معنا مما نأكل : قال : قد والله فعلت . فقال الكندي ما بعد الله شيء . قال عمرو : فكففته والله كفاً لا يستطيع معه قبضاً ولا بسطاً ، وتركه ولو مدّ يده الى الطعام كان كافراً ، ولكان قد جعل مع الله جل ذكره ندّاً » .

والذي نعتقده ان أكثر الروايات التي رواها الجاحظ في البخلاء مختلقة اختلاقاً أو كانت نكاتاً سائرة على الالسن فصاغها الجاحظ بقلمه المرّ ، ونسبها الى أعدائه . وكان معتزليًّا ، وأعداء المعتزلة كثيرون .

***

ينقي عن الكندي ذلك رواية أخرى (ص ٣٦) فقد روى الشهرزوري عن الكندي «من ملك نفسه ملك المملكة العظمى ، واستغنى عن المؤن . من كان كذلك ارتفع عنه الهم وحمده كل واحد ، وطاب عيشه » ... فكيف اوفق بين من يقول هذا وبين رواية الجاحظ ، والبخيل لا يملك نفسه ؟ أما إذا صحت رواية الجاحظ فالكندي ممن لا يؤمنون بالحكمة ، لأن من آمن بالحكمة كانت له فلسفة ، ومن يكون له فلسفة ، طبق نظرها على الفعل .

ومما يؤيد مذهبنا في الروايات التي رواها الجاحظ في البخلاء ما جاء في ص ٣٧ إذ يقول المؤلف :

« لا جرم كان الجاحظ يسخر من الكندي ويشنع عليه لبعد ما بين طباعهما وبعد ما بين مسلكهما في الحياة . وكان الجاحظ بصريًّا ، وكان الكندي كوفيًّا ، وبين أهل البلدين عداوة وتنافس . والجاحظ معتزلي ، ولم يكن يسلم من لدغاته إلاّ من تحرّم بحرمة الكلام »

مما يوصف بأكثر ما نقل عن الكندي من أمثال كلام الجاحظ وغيره ، عبارة نقلها المؤلف في ص ٣٩ : وقال يوماً لجارية كان يهواها : إني أرى فرط الاغتباطات من المترقبات على طالبي المودّات مؤذن بعدم المعقولات . فنظرت اليه وكان ذا لحية طويلة فقالت : ان اللحى المسترخيات على صدور أهل الركاكات بحاجة الى المواسي الحالقات .

إن أثر الكذب في هذه الرواية لظاهر كل الظهور ، بيّن كل البيان . وإذن فكل الروايات التي ترمي إلى تشويه سمعة هذا الرجل الكبير مدخولة بالشك ، مغمورة بالريبة . وعلى ذلك نقص أكثرها أو كلها إن شئت . والسبب في ذلك ظاهر فان الكندي (على ما جاء في ص ٤١ من الكتاب) هو بلا ريب اول فيلسوف مسلم عربي اشتغل بالفلسفة التي كانت الى عهده

وقفاً على غير المسلم العربي .... لهذا كان الهدف الأول وموضع الخط الرئيسي، لقوة الدفع التي استجمعت من حوله كل قوى الرجعية في ذلك العصر .

***

من الروايات التي تظهرنا على شيء من علم الكندي ، والتي تدلنا على ان علمه بالحكمة لم يكن من العمق والقوة بحيث وضعه كثير من أصحاب الروايات، عبارة وردت في ص ٢٨ من ذلك الكتاب : قال الشهرزوري في كتاب (نزهة الأرواح) » — ذكر أبو سليمان السجزي انه اجتمع هو وجماعة من الحكماء عند الملك ابي جعفر بن بويه بسجستان، فجرى حديث فلاسفة الاسلام : فقال الملك : ما وجدنا فيهم على كثرتهم من يقوم في أنفسنا مقام سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس . فقيل له ولا الكندي ، قال : ولا الكندي ، قال الكندي على غزارته وجودة استنباطه ، رديء اللفظ ، قليل الحلاوة ، متوسط السيرة كثير الغارة على حكمة الفلاسفة » ..... وإذا صحت هذه الرواية بحروفها وضح لنا أن الكندي لم يكن صاحب فكرة مبتكرة في الفلسفة ، ولم يكن فيلسوفاً بالمعنى المعروف ، وانما كان ممن يغيرون على حكمة الفلاسفة فيلبسونها لأنفسهم . وبؤيدنا في هذا المؤلف نفسه (ص ٣٠) حيث يقول : «والواقع أن الأصول التي كان يرجع الكندي اليها مترجمة كانت الى اللغة العربية أو غيرها ، أو موجودة في لغاتها الأصلية ، لم تكن تخلو من تحريف ومن غموض . وكان طبيعيًّا أن يجد الكندي عناء في استخلاصه معان منها سقيمة في نظر العقل منتظمة النسق » ... واذا كانت هذه مصادر علمه ، فما قولك في علمه نفسه .

ولقد أورد المؤلف بعض عبارات استدلّ منها على أن أسلوب الكندي كان فيه غموض . قال :

«والذي يلاحظ من أسلوب الكندي، اعتماداً على هذه المصادر الضئيلة، ان فيه غموضاً يأتي بعضه من أن الألفاظ الاصطلاحية الفلسفية لم تكن استقرت في نصابها ، وتحددت معانيها » . ولست أدري كيف نحكم بأن الغموض أتى من ناحية الألفاظ الاصطلاحية لأنها لم تحدد ، والذي وصل الينا من آثار الكندي قليل لا يواتينا بما نصدر به هذا الحكم من الاحتمالات . والأمثال التي أتى بها المؤلف تناقض هذا الحكم . قال (في ص ٢٩) :

« ومن أمثلة ذلك (أي الأمثلة على الغموض) ما جاء في كتاب أثولوجيا ص٢ » : ولقد قيل في اتفاق أفاضل الفلاسفة إن علل العالم القديمة السارية أربعة : وهي الهيولى والصورة والعلة الفاعلة ، والتمام ، والذي سماه التمام هو الذي سمي فيما بعد العلة الغائية ، كما يؤخذ من

سابق كلامه ولاحقه » اه ..... ولست أرى في ذلك غموضاً ، ولعله يريد : والعلة التام ، تعقيباً على العلة الفاعلة ، لا سيما إنه قال : الهيولى والصورة والعلة الفاعلة والتام ، فالتام هنا مفهومها « العلة التم » بالاضافة الى ما قبلها . وقد استعمل الكثيرون العلة التامة بدلاً من الغائية ، ولا فرق بين التام والتام ، فالكلام بيّن ظاهر لاغموض فيه . والذي يقرأ الفلسفة القديمة ، ينبغي له أن يوطن النفس على شيء من التبصر وتعود النظر ، وان لا يتوقع أنه سوف يستقي حكمة القدماء ، كما يشرب كوباً من الماء البارد في يوم قائظ .

وجاء في الصحيفة نفسها : ومن أمثلة ذلك أيضاً : استعماله في كتاب « أثولوجيا » كلمة « مبسوط » بمعنى بسيط : وهذا هو النص : « وما الذي يمنع النفس اذا كانت في العالم الأعلى من أن تعلم الشيء المعلوم دفعةً واحدة ، واحداً كان المعلوم أم كثيراً . لا يمنعها شيء من ذلك البتة ، لأنها مبسوطة ذات علم مبسوط . فعلم الشيء الواحد مبسوطاً كان أو مركباً دفعةً واحدة » ... والواقع انه لا يستدل من هذه العبارة مطلقاً على ان الكندي يقصد هنا إن علم الروح يكون بسيطاً بالمعنى الذي ندركه من البساطة أي الغزارة والأولية ، وانما يقصد انه لا يمنع النفس مانع اذا كانت في العالم الأعلى من أن تعلم الشيء المعلوم دفعةً واحدة لا بالتدريج شيئاً بعد شيء ، سواء كان الشيء المعلوم واحداً أو كثيراً ، لأنها هنالك تكون مبسوطة أي غير مقيدة وعلمها مبسوط أي مفصل ، لا اجمال فيه فقد ربي هنا إلى التفصيل معبراً عن ذلك بكلمة مبسوط ، والمبسوط هو المفصل الواسع الذي لا اجمال ولا اقتضاب فيه . ومفهوم العبارة على هذا التفسير صحيح جليّ ، على الضد مما لو قلنا إنه أراد « البسيط » أي الأولي . وإذن لا يكون هنالك غموض فيما ورد بالكتاب من العبارات التي استدل بها على غموضه .

إنما ما أورد المؤلف نقلاً عن « جلسن » حيث يقول (ص ٢٩) « المعاني ضعيفة كأن الكندي كان يكابد في امتلاك ناصيتها بعناء » — فتدل على انه لم يهضم ما درس ولم يمثله تمثيلاً عقليًّا يكفي أن يضع الكندي مع الفلاسفة ، فكيف به يكون فيلسوف العرب ؟ الا ان يكون المعنى انه أول عربي مسلم اشتغل بالفلسفة .

هذا التناقض يسوقنا الى القول بأنّ الكندي شخصية غامضة ، وان علمه مشوب بالشك ، وفلسفته مدخولة بالقلق محوطة بالريبة ، وانه يصعب ان نصدر فيه حكماً مقطوعاً بصحته ، وحالتنا من العلم بآثاره على ما وصف هذا الكتاب .

كتاب ظهر في المكتبة العربية ، ونال به مؤلفه الاستاذ عبد الرحمن الزرقاني الوجودي بدوي درجة في الفلسفة من جامعة فؤاد الاول ، فنهنئه بها . ولقد عمد الى درس هذا الكتاب درسا يناسب منزلته من البحث وموضوعه من الاساسيات الفلسفية في التوبيات : Metaphysics . وفي الحق ان الكتاب يمتاز بأسلوب كأنه الرصاص : سلس بارد ثقيل . أو كأنه الليل : مظلم هامد عميق . ومن الحق أن نسجل اليوم ما حسنا عن هذا الكتاب .

حسبنا ان الاستاذ لويس ماسينيون قال عن هذا الكتاب كلمة المؤلفة من اضاءات بالية ، ساكن شخص ، فخيل اليه انه ناسجها . وروى لنا أحد الاصدقاء أن هذا الكتاب استخلص من عدة كتب ، ومداره كتاب في « الزمان والوجود » ألفه باحث ألماني يدعى « هيدجر » : Heidegger وصلت منه نسخة فرنسية الى مصر ، اطلع عليها أحد أعضاء لجنة الامتحان ، فوجد ان المؤلف قد ترجم منه بالحرف أكثر من ثلاثين صفحة متوالية من غير أن ينسب كلمة واحدة منها الى المرجع الذي أخذها منه ، ولم يسئل في ذلك أحد بأغرب أسلوب علمي : وهو السكوت .

أما التصدير العام الذي صدر به الكتاب فسطران هما : « غاية الوجود ان يجد ذاته وسط الوجود . وها هنا صورة اجمالية لمذهب فسر فيه الوجود على أساس الزمان ، وحاولنا تحقيق هذه الغاية للانسان »

والطبيع لا يمكن لمن لم يقرأ الكتاب ويستطيع فهمه ، أن يعرف ما هو المقصود من عبارة « غاية الوجود أن يجد ذاته وسط الوجود » . والمثل لا يأتي اذا قلت انه قد يعجز من فهمها حتى اذا قرأ الكتاب وفهمه . فلعبارة مغلطة ماثلة . فالمقصود بكلمة « غاية » أهي نهائية أم نسبية . وما المقصود « بالوجود » أكلي أم جزئي . وما المقصود « بوسط » أمادي أم معنوي . وما المقصود « بالوجود » أهيولاني أم روحاني ؟

ويقول ان الكتاب « صورة اجمالية لمذهب » ، واذن فالكتاب ليس في مذهب ولا في أساسية فلسفية ، وانما هو صورة اجمالية من مذهب ، حاول فيه تفسير الوجود على أساس الزمان . وان المؤلف حاول تحقيق هذه الغاية للانسان . ومن هنا يظهر ان الكتاب برغم انه « صورة اجمالية » لمذهب ، فالمثل فيه محاولة أريد بها تحقيق غاية لم تحدد ، وان هذه الصورة الاجمالية وتلك المحاولة . قد استحق بهما مؤلف الكتاب درجة في الفلسفة ، ولقب أول فيلسوف مصري ، على ما يروى عن الاستاذ بدوي حين ، ولعلها أسطورة .

ولقد يعنينا هذا التصدير على حالة غامضة غير مستقرة تفسيرها : انك اذا سألت المؤلف أهذا مذهب ؟ قال لا : انه صورة اجمالية من مذهب . واذا سألته أهيه أساسية فلسفية يدور من حولها المذهب قال لا : انها محاولة . فالكتاب اذن « صورة اجمالية » لمذهب فيه محاولة تحقيق شيء غامض مبهم » . واذن هذا « درجة في الفلسفة » .

ولعلي لا أخطيء اذا خيلت ان درجة من الرزية الكافرة تروق أمانيّ الفكر في هذا العصر . فبعدت الفن والادب الى الفلسفة . فقد يصور لك المصور صورة حيوان برأس فيل وقوائم حصان وعرف كعرف ديك عقرب وأجنحة خفاش . فاذا سألته أي حيوان هذا قال : انه صورة اجمالية من حيوان . واذا سألته أوجد فيما تصورت من تصوير قال : انها محاولة لا صورة . فأمامك حيوان ولا حيوان ، ومحاولة ولا شيء . فاذا سألت الفيلسوف هذا مذهب ؟ قال انه صورة اجمالية من مذهب . واذا سألته لي أي قسم ينتمي ؟ قال انه محاولة بلا قسم . فأمامك مذهب ولا مذهب . ومحاولة لا قسم .

وأظن انا سوف نتعمد لرحال مثلة الا يحدثن بصورات من هذا الكتاب تحدث بليغ يسلم تفسيره ، حتى نكون فيما سنعقد من نقد بمنأى عن كل العوامل الاعتباطية ، والشقوة تصير عن طريق الموضوع الى قضيته

المرأة والمجتمع (*)

سيداتي سادتي : يسرني أن أقف الليلة محامياً عن المرأة ، مدافعاً عن حريتها ، مصححاً بكثير من الآراء الخاطئة التي أحاطت بقضيتها . والحق انني لست الاول في هذا ، فان كثيرين من الكتّاب الحديثين راجعوا الموضوع وقلبوه ، وراجعوا أصوله ، واستعرضوا المسألة بيولوجيًا وفسيولوجيًا، وسيكولوجيًا، فأمكن أن يصلوا الكثير من الامور في نصابها. ولقد تناول الباحثون دراسة المرأة : (أولاً) على ضوء الفروق الفسيولوجية والتشريحية بينها وبين الرجل . (ثانياً) على ضوء الفروق السيكولوجية بين المرأة والرجل . (ثالثاً) على ضوء الاحصائيات والارقام . (رابعاً) على ضوء الوقائع المثبتة في التاريخ والسير . (خامساً) على ضوء البيانات والحقائق المستمدة من علم الحياة — وبخاصة ما جرى في سلسلة التطور — وأني شخصيًا أفضل أن أبدأ من هذه النقطة الاخيرة : لأصل الى نقطة تهمني جدًا في البحث ، وهي ان المشكلة كلها نشأت من ان الانثى رضيت أن يكون نصيبها من العمل حفظ الذرية ، بواسطة التناسل ، والسهر على النوع ورعايته خوفاً من انقراضه . وتركت للرجل النصف الثاني من العمل ، وهو جلب القوت ، والتنقل في سبيله ، والتفنن في اجتلابه . معنى ذلك انها اضطلاعاً منها بالمسئولية الكبرى ، وهي حفظ النوع وانتشاره ، رضيت أن تبقى حيث هي في مكانها — على رأي الانكليز Tends & attends — ومعها أولادها ، في انتظار ما يأتي به الرجل ، أي انها رضيت في سبيل المصلحة العامة ان تعتمد على الرجل وتركت له أن يمولها اقتصاديًا، مؤمنة بأن قيمة العمل المنوط بها جديرٌ بأن يعادل ما فقدته من حريتها الاقتصادية ، جديرٌ بأن ينسيها الامر والقيود التي كبلتها بها الامومة بالفسحة للحرية التي يملكها الرجل والتي أعطته صورة من صور السيادة أساء استعمالها فيما بعد . إن المسألة البيولوجية مشت على الوجه الآتي : كل الذين درسوا علم الحياة ، يعلمون أن الاميبا تنقسم عدة أقسام لا تلبث أن تنفصل ويصير كل منها جزءاً مستقلا . ولقد كان في الامكان أن تظل هذه الوسائل قائمة ، أي انقسام الخلايا ، ما دامت هذه هي الطريقة

(*) ألقيت بكلية الآداب بجامعة فاروق الاول في شهر ابريل

التي يتكوّن بواسطتها الجنين وينمو . . . ولكن الذي جرى أن الطبيعة ، حرصاً منها على الفريقة ، رأت في مرحلة التطور الثانية ، ان يبقى الصغار على الأم حتى ينضجوا ، ورأت كذلك ان من الجائز ان يمطروا عملاً بدل بقائهم على الأم عاطلين ، فلما أعطوا عملاً مختلفاً تميزوا ، ولما تميزوا ، صار هناك ذكر وأنثى بعد ان كانوا متشابهين ، فلما انفصلوا عن الأم صار كل نصف يبحث عن نصفه الضائع ، وهذا هو الحب في أول حواشيه . فاذا التقى الذكر بالأنثى ابتلعته انثى وطوته في داخلها ، ثم جعلت حولها سوراً يتكوّن في داخله المخلوق الجديد ، وكل ذلك يحدث في مكان أمين . . . هو ما نسميه نحن الآن Home أو Foyer . من ذلك الوقت اصطبغت بصبغة الأمومة ، واصطبغ الرجل بصبغة الحارس الحامي للذمار الجالب للقوت المتفنن المغامر . ومن ذلك الوقت صارت الأمومة صبغة الانثى التي لا تفارقها — وصارت الحركة والغامرة ومظاهر القوة من خصائص الرجل التي لا تفارقه . . . وصارت العاطفة الطابع الخاص بمرأة ، بصفتها أمّاً تضم حولها صغارها برباط المحبة ، وتجتذب الذكر بصفات العطف والحنان . وصار التعقل والتخيل والتحايل والابتداع أشياء أساسية في حياة الرجل ومنطبقة على طبيعة عمله الذي وصفناه وهو طلب الرزق وجلب القوت . .

وما دامت الحياة في أساسها استجابة لعوامل خاصة ، فقد صارت فسيولوجية الانثى عند ما تطوّرت وصارت امرأة انسانة ، مماشية لخصائصها كامرأة ، وصار تشريحها عند ما تطورت مماشياً لخصائصها كامرأة ، وصارت سيكولوجيتها ، مطابقة لوصفها كأم تتناسل وتكلف تربية الأولاد والسهر عليهم ، ولما كانت الحياة كذلك تفاعلاً بين الشخص والوسط ، فقد كان خُلُق المرأة — من حيث ان الخُلُق — هو كيفية تصرف ، استجابة لعوامل الوسط .

ولقد كانت استجابتها لكل ما كلفت به كاملة ورائعة . وقامت بواجبها على أتم ما يمكن وساعدتها الطبيعة أحسن مساعدة ، فمن جهة الفسيولوجيا منحتها تركيباً فسيولوجيّاً مطابقاً كل المطابقة لما أعدت له ، فان تركيبها العصبي في شدة حساسيته ، وفي استجابته السريعة للمؤثرات ، والغدد الصمّ في المرأة وافرازاتها المدهشة ، كل ذلك وغيره ، ساعدها على أن تؤدي وظيفة المرأة الأم أحسن تأدية . ومن جهة التشريح : أثبت علم التشريح المقارن ان المرأة هي التي تحمل علم التطور . ولقد قال هاثيلوك : أليس بحق أن المرأة هي التي تحمل علم شباب الانسانية . بدليل ان في الطفل والمرأة تركيب الرأس وغير ذلك من دلائل التطور ، تدل على أن التطور هو فيهما وبهما . . . . وأما الانسان البالغ ، فكلما تقدم في العمر ، ينحدر شكله الى شكل القرود ، فهو بذلك يمثل مرحلة سالفة . .

فمن يقول إن المرأة أقل في أي صفة تشريحية أو فسيولوجية فهو مخطىء . . . واذا

اعتقد أحد ان الرجل يزيد في صفة من هذه الصفات عن المرأة فقد ضلّ الصواب . فلقد سمع من يقول إن وزن المخ يختلف ، أو أن هذا العضو أو ذاك أكبر في الرجل من المرأة . ان المرأة مخلوق كامل في نفسه ، ومن حيث وظيفته كامرأة — والرجل في ناحية تام التركيب كرجل ، فلا معنى اذاً للتفاضل .

نأتي الآن لنقطة هامة جداً ، وهي مسألة السيكولوجية . وهذا أهم ركن في موضوعنا هذا. لقد نشأت الخصائص السيكولوجية للمرأة من شيئين — الأول : طبيعتها كامرأة ، والثاني : من وظيفتها كأم — ولقد قال الباحث ثارنج انه في عدة قبائل كان الرجل مكلفاً بما تقوم به الأم الآن من تكاليف البيت والسهر على الأولاد ، والأم مكلفة بما يقوم به الرجل الآن من السعي وراء القوت . فكان للرجل خصال المرأة ، وللمرأة خصال الرجل . . ومن يدري لعله لو طال العهد بذلك لحدث ما نسميه الخصائص الثانوية للجنس ، أي لالتحت المرأة ونعم جلد الرجل ورقّ صوته . . . وعلى كل يقول ثارنج : انه من الظلم أن نجعل وجهاً للمقارنة في عصرنا الحاضر بين المرأة وبين مدنية ، هي في الواقع « مدنية رجال » ! إذ الصواب أن نقارن بين مدنيتين ، واحدة من صنع المرأة والأخرى من صنع الرجل . . .

أما وظيفة المرأة فجعلت مركزها الاجتماعي الحالي مخالفاً لمركز الرجل . ولم يكن كذلك في العصور القديمة ، فان حركة مطالبة المرأة بحقوقها ، حركة حديثة جداً ، والسبب في ذلك ان مركز المرأة قديماً كان مركزاً لا جدال في أهميته في العائلة . فقد كانت هي التي تحيك ، وتطبخ ، وتقوم بالجملة بكل احتياجات المنزل ، وكان الرجل يأوي الى هذا المكان الذي هو كله . وكل شيء فيه ، من صنع ، يدي المرأة وتدبيرها . فلما أخذ العالم يصير ميكانيكيًّا صناعيًّا ، أخذت أغلب الأشياء التي صنعتها المرأة بيديها في المنزل ، تصنع في الخارج . وتشترى من السوق ، وزاد على ذلك ان الرجل نفسه غير ذلك الوكر الذي كانت المرأة تتفنن في اعداده ، رويداً رويداً ، لأنه شغل بمهام العصر الميكانيكي الصناعي واندمج فيه . وقد مرّ عليه وقت كان هو هو ذاته يعمل بيديه ويخلق من فكره . فصار آليًّا ، استعبدته الآلة وقضت على فنه . ولكنها لم تقلل من غروره واحساسه بالسيادة والسلطة .

الخلاصة من ذلك ان المركز الاجتماعي للمرأة تقلقل بتقلقل القيمة التي كانت لها في البيت والعائلة وبتغير العصر وصيرورته آليًّا ميكانيكيًّا . ولما أخذت المرأة تنادي بحقها ، كانت في الواقع تنادي برضعها في مكانها الذي كانت قيمته عالية ومقدرة ، فصار الرجل يتهمها بسوء الخلق ، والخروج على المألوف ، وبفقد نصبتها ، وأخيراً صار هناك من يقول إن المرأة يجب أن تعود إلى المنزل ، وفاتهم شيء يجب أن يلتفتوا إليه ، فاتهم شيء

عميت عنه أعينهم ، وهو أن العالم تغير بتاتاً ، وإن المرأة لا تستطيع أن تعود إلى ما كانت عليه منذ آلاف السنين ، بل يجب أن تجد حلاً يتفق مع أمرين : طبيعتها كامرأة ، ومركزها الجديد في العالم الحديث المتغير . يجب أن نضع الخمر القديم في زجاجات جديدة . أما من يقول ان ذكاءها أقل من الرجل فهو واهم . ما هو الذكاء ؟ ؟ الذكاء هو سرعة الادراك ، وسعة الخيال ، والانتباه . أما سرعة الادراك فواضح جداً في المرأة ، بل إنا لنجد ذلك في روايات كثيرة ، فانه اذا ارتبك الرجل والمرأة في موقف ما ، فان المرأة هي التي تلمح شبح الخطر ، وهي التي تنقذ الموقف ، ومن سرعة الادراك ما يسمى بالمأثرات الثانوية ، أي مقدار تبات المدركات الحسية في اللاشعور . فلقد ثبت ان المرأة يبقى في ذاكرتها الأثر الصغير لمدة طويلة . أما الخيال ، فلا ينقصها ، وان كان الرجل يمتاز عنها فيه . ويبقى الانتباه ، Interest . وأعتقد أن كل ما يعاب على المرأة من جهة عدم نجاحها في العلوم والرياضيات ، ليس ناشئاً من قصور ذكائها ، بل من عدم ميلها وانقيادها لهذه الناحية ، لأنها لا تتفق وعاطفتها السيكولوجية المبنية على الانفعال . والانفعال لا يُعنى بالتجريد ، بقدر ما يعنى بالحقائق الجامدة Concrete

ينقلنا هذا إلى انفعال المرأة Emotion فان تركيبها كأم ، جعل العاطفة محور حياتها ، وقلدها جيداً تخصصت لذلك . وطبيعة الانفعال تميل إلى النظر للحقائق والجوامد .

ومن هذا كانت المرأة مقتصدة أكثر من الرجل ، لأنها تميل إلى الجمع والتجميد .

ومن هذا كانت المرأة لا تميل إلى التحليل ، بل الى الأخذ بجملة الشيء .

فاذا أحبت أحبت بلا تشريح ولا تدقيق . وإذا نظرت في حساب نظرت للجملة . وإذا نظرت لقضية سألت عن النتيجة . وإذا اقتنعت لم تقتنع بالكلام والشرح ، بل بحقيقة ملموسة ، كهديه أو خاتم . من هذا يتضح أن المرأة عملية ، بينما الرجل خيالي .

ولقد اتضح من الأرقام والبيانات في المدارس والجامعات ان البنات أميل إلى النظام ، وأكثر اجتهاداً وأحسن نتيجة ، وان كان ينقصهن الخلق والابتكار ، ويختلفن عن الذكور في أنهن يستطعن أن يركزن فكرهن في أكثر من شيء واحد في وقت واحد ، وذلك لضيق الوعي عندهن . ولكن الاختلاف ناشيء على كل حال من أن المرأة ذات طبيعة انفعالية لا تساعد على التجريد والتحليل . وكذلك لا تساعد حدة الانفعالات على النبوغ في الفنون والآداب . لأن الفن نظائد يحتاج إلى انفعال لا يغمر الوعي ويغرقه .

فهؤلاء الذين يقولون ان ذكاء المرأة ناقص يتكلمون عن الذكاء ككلية ، بينما الذكاء عناصر تتكون مما يسميه العامة (ذكاء) والصفة هي التي تختلف . وهؤلاء الذين يقولون ان

المرأة لا تنفع لهذا الشيء أو ذاك، يجهلون طبيعة المرأة كل الجهل. فإن في طبيعتها ما يؤهلها لأعظم الأعمال. خذوا مثلاً، طبيعتها العملية، وخذوا مثلاً نجاحها في المسائل الاقتصادية، وخذوا مثلاً اهتمامها بالحقائق الملموسة، وإلمامها بالواقع المحسوس، هذه الفضائل بقيت محصورة في دائرة العائلة، وعلى مرّ الأجيال، نمّيت هاته الفضائل، وصارت البنت تنمو في وسط تُسمع فيه تحقيرها بأذنيها، وترى تفضيل الذكور عليها، وكثيراً ما تُسمع ذمًّا في جنسها كله، مما أضاف إلى الثورة الحاضرة، وجعل للمرأة عذراً في المناداة بحقوقها، والواقع انها لا تنادي بحقوق، وإنما تنادي باستعادة مكان ضائع، والاعتراف بفضائل أُنكرت.

فإذا نظرنا إلى المجتمع، الذي تنادي بالدخول في غماره، وجدناه مكوّناً من شيئين: أحدهما كمالي وهو الفنون والآداب. فإذا سلمنا جدلاً أنها بطبيعتها لا تنبغ فيهما لأن الفن والأدب يستلزمان مؤهلات خاصة، تركها الرجل يتمتع بهما ويخلد فيهما. والثاني ضروري — بل هو المجتمع بأجمعه، وهو الصناعة والسياسة. ومن جهة الصناعة لنكم روسيا الحديثة، فإن المرأة أثبتت هناك أن هذا مجالها، ونجاحها في المسائل الصناعية جعل لها مكاناً ممتازاً، ومن يدري ربما كان انتاج روسيا الرائع في الآلات وغيرها هو من زيادة الأيدي بإقبال النساء على الصناعة. ولقد أقبلن عليها بدون أن يضايقهنّ الحمل والولادة، فقد تكفلت الحكومة برعاية الحوامل، والالتفات للأولاد، حتى لا يكون منهم عائق للأمهات.

أما من جهة السياسة فقد راجع «برداخ» عصور النساء اللواتي تولين الحكم. فوجد ان عصورهن من أزهى عصور التاريخ. وذكر ذلك انه في أكثر القبائل نجد النساء هنّ اللاتي يتولين حل المشاكل ويتفاهمن على المسائل الكبرى.

وكذلك اثبتت البيانات الحديثة، وبخاصة في الحرب الحاضرة، نجاح المرأة في الأعمال الكتابية والادارية. إذا كانت هذه هي المرأة: هي السبب في عمران العالم؟ وهي التي قبلت التضحية، وهي التي رضيت باستعباد الرجل على شرط ان تحفظ قيمتها — وقد ظلمها الرجل، وأشاع انها ناقصة العقل، وأنكر عليها مواهبها — وحين يتغير العصر، وتتعرف بالدنيا احوال جديدة، وحين تريد هي أن تبذل مواهبها الكامنة وتقدم استعداداتها للمشاركة في اصلاح العالم، يجيء من يقول لها: مكانك البيت! فتلتفت لترى «البيت» فإذا الخيال غير الخيال.. تراه مقفراً وقد خلا من معاني العائلة، وترى الرجل في حياته الجديدة، حياة العمل وحيداً، وتجده مرتكناً وقد ستر متاعبه بأنانية كاذبة؟ أليس لها الحق في أن تقتحم هذا المجتمع؟ أعتقد أن لها الحق وأعتقد أنها ستفوز....

دكتور إبراهيم ناجي

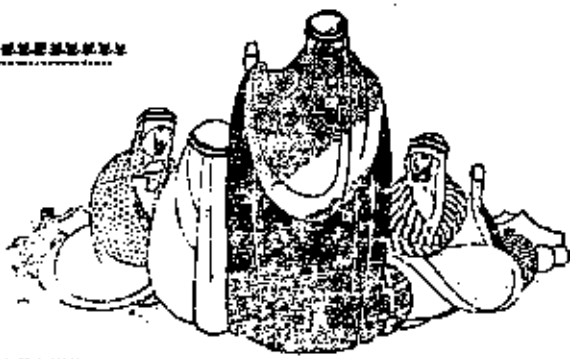

الاتحاد القومي

دواؤه وأدواؤه[1]

— ٢ —

تنبهت أمم أوربا منذ مئتي سنة وأكثر الى وجوب التخلي عن نعراتهم الدينية والطائفية وحصر تلك النعرات، وما بنيت عليه من عقيدة الدين ورسومه ورموزه ضمن نطاقها الطبيعي أي المعابد، وما يتصل بذلك عن قرب كعائلة رجال الدين والدور الاكليركية والأوقاف المنتمية اليها ونحو هذه الأمور . وأما في ما خلاها، وهو القسم الأكبر من مظاهر المعيشة وأحوال الحياة، فقد أقاموا الرابطة الوطنية مقام تلك النعرات، وحمدوا كل الحمد مغبة هذا التعديل وهذا الاستبدال كما حصلوا عليه من راحة أيديهم وراحة بالهم وطيب صحتهم في المدنية والرقي ومن معززة جانبهم ونيلهم الشيء الكثير من رخاء مادي ومعنوي . أفلم يكفنا نحن اننا تأخرنا في هذا السبيل بالقليل مئتي سنة عن أمم أوربا، وهم في الاصل تلاميذ وطننا رقيهم وتنورهم . تلاميذ هذا الشرق البائس وأبنائه عند احتكاك أجدادهم بأجدادنا في أثناء الحروب الصليبية بسورية ولبنان وفلسطين، مدة تقارب مئتي سنة وكان منتهاها في نحو سنة ١٣٠٠ للميلاد . ثم باحتكاك الأجداد بالأجداد في بلاد الأندلس مدة ٧٥٠ سنة . وكان منتهاها في نحو سنة ١٤٧٠ للميلاد . وهذا التبدل المجيد المعقول بتغليب الرابطة الوطنية على كل رابطة سواها لم يقتصر على المشهور من أمم الغرب المبتدئة ذرة العلم والأدب والفلسفة والفن والصناعة، بل تجاوزه إلى أمة صغيرة غير عظيمة الحظ من هذه المزايا وهي مثلنا شرقية بتقاليدها ومشاربها وان حسبت أوروبية بموقع بلادها وأريد بها الأمة الالبانية أو الأرناؤوطية . فان الالباني شديد الحرص والغيرة على رابطته الوطنية والقومية . قليل المبالاة بكل رابطة تخالفها . أفنكون عقولنا في استيعاب هذا الناموس العمراني دون عقول الارناؤوط عشاق الطنجة والبطقان ؟ .

ان الغربة التي تحرم صاحبها قوته ومعززته بحرمانه الاستناد إلى أهله ومحبيه ومراجع تربيته ومواقع غبطته، ومن ثم تجعله بعيداً عن الغرور والطمع والعدوان، هي خير محك للمرء في استجلاء ميوله الطبيعية وفي استلهام وجدانه وغريزته . هذا شأن الغربة التي تصفي

النفس البشرية من كنير من أكدارها وأقذارها وتوسع نطاق معلوماتها عند اطلاعها على أشياء جمة كانت محتجبة عنها . استثنوا الغربة ومن يقاسون كربتها ووحشتها في ما نحن بصدده يخبركم كل مغترب مهاجر ، وأنا كنت أحدهم ، ان عاطفة الحب الوطني في أعماق نفسه تفتقض من تحت ومادها ، وتتأجج نارها ويسطع نورها أضعاف ما كانت عليه ، فيعلم حينئذٍ علم اليقين ان الرابطة الوطنية ليس من رابطة تعادلها أو تقاربها في عموميات الحياة ، حتى إذا لقي أحد أبناء وطنه ولو لم يكن من عشرائه وأشكاله شمله برده وعطفه ، وبذل مجهوده في إرضائه ونفعه .

ولا شك ان الذي أسلفنا ذكره من شأن النعرات الطائفية وتقاليدها بحسب العائق الأعظم في سبيل اتحادنا الوطني الذي هو شرط أساسي لا بد منه لأجل استحقاقنا الاستقلال وانتفاعنا به واطمئناننا عليه . ولكن لا بدَّ لي من الاعتراف بأنه يعترض اتحادنا الوطني مع هذا العائق الأعظم عوائق أخرى لا يجوز غض النظر عنها وان كانت دونه سطوةً وتأثيراً ولاسيما عائقان منها . أولاً : ما تعوَّده أبناء الطائفتين في بلادنا من تفرقة وانقسام في مظاهر المعيشة من مساكنة ومعاشرة ومجالس لهو يومية واجتماعات مختلفة ونحو ذلك . فقد تعوَّدوا ان ينحي بعضهم عن بعض في معظم هذه الأحوال . وضرورة الاتحاد تقضي بإلغاء هذه الألفة . وإلغاء الألفة يقضي بإبطال هذا التنحي ، وإقامة التمازج الكافي مقامه . والعائق الثاني : حرص أفراد من أبناء وطننا على ابقاء النعرات الطائفية بيننا مع ما فيها من عار ومضار وسعيهم في تحقيق هذه الأمنية ، لأنهم يتوقعون اذا فقدوها أن يفقدوا جل ما لهم من حول وطول ومغنم . وهؤلاء الأفراد أتباع وأعوان ينصرونهم وأناس بسطاء تجوز عليهم حججهم الزائفة . ولكن ينتظر أن يكون بين هذه الفئات أصحاب فضل وفضيلة يرضون أن يضحوا بشيء من مصلحتهم الخصوصية في سبيل مصلحة الوطن العامة . وأما الباقون فلا بدَّ من اجتذابهم الى السبيل السوي بالتي هي أحسن ، وإلاَّ فبالتي هي أخشن ....

وصلت الآن إلى شرط جوهري لا يقل في حد شأنه عما تقدم معنا بيانه . وهذا الشرط هو أن يحذر أحرار العرب في بلادنا آلامهم بقوميتهم وممن يترأسون هذه القومية ومن ينضوون تحت لوائها ، حين يرون منهم اخلاصاً وروحاً وطنية نزيهة لا تحمل أقل تمييز بين فئات الوطن . ويدخل في هذه الناحية من بحثنا الخاطر الأبيات التالية من قصيدة لي نظمتها في مقام اقتضاها ولعلَّ المقام الحاضر أجدر بها من ذاك :

وطنية الشهم الكريم يمينه ويقينه ولو اللئيم ارتابا
وطنيـــة الشهم الكريم نخاره وانضاره من دمه فقر نابا

وطنية الشهم الكريم تصونه من أن يضيع الهم والأدبا
فهو الذي يعطي القريب حسابه وهو الذي يعطي الغريب حسابا
يدري لهذا حقه في أرضه ولذاك حق الضيف يقرع بابا
لا تظهروا بالحزم ضعفاً لا ولا بالعزم عنفاً جائراً صخابا
هذي هي الوطنية المثلى التي تبغي رجالاً لم تكن أنصابا
هذي هي الوطنية المثل التي تروي القلوب وتبرىء الأوصابا

***

ولا بد لنا هنا من التصدي لملاحظة تخطر على بال كثيرين ومؤداها ان الطائفة الاسلامية في بلادنا هي اكبر الطوائف الدينية وأقواها ، فلا غرو ان يكون لها حق التصدر والامتياز في كل أمر من أمورنا وكل ناحية من أحوالنا .

والجواب على هذه الملاحظة إيجابي محض . فالطائفة الاسلامية هي أكبر وأعظم طوائف هذا الوطن فلها حق الصدارة والامتياز . وهي حاصلة اليوم على هذا الحق بكيانها المعنوي في التعيينات والانتخابات والتشريفات وغير ذلك من مظاهر رسمية وشبه رسمية ما دمنا جارين في هذه الأمور على النسبة الطائفية ، وهو مجرى خطر قبيح يخجل كما تقدم معنا بيانه. والأمل ان نتخلص من هذه الخطة في أقرب وقت . وهيهات ان يفقد اخواننا المسلمون شيئاً اذا فقد من بيننا هذا التدبير الوبيل . فان لهم من كثرة عددهم وكثرة أهل العلم والفهم فيهم ونشاطهم ونضج تجاربهم واختباراتهم ، ما يصون حقوق افرادهم كل الصيانة ، فيظل مجموع ما يحرزونه فوق كل مجموع آخر ، ويظل لممثلي الدين بينهم حق التقدم في المواقف والأحوال التي لها علاقة طبيعية بالدين والطائفة ، دون ان تسطو على ما هو خارج عن هذه العلاقة مما نشاهده في خططنا الحاضرة .

إلا ان المسلمين والنصارى اذا ألغوا من بينهم قاعدة النسبة الطائفية في الاعمال والمعاملات فهم لا يفقدون إلا شيئاً واحداً . أتعلمون ما ذلك الشيء أيها السادة والاخوان ؟ انهم يفقدون حينئذٍ الخطر الداهم على جسم وطنهم الشريف وروحه الطاهرة .

انور سرقيس
عضو المجمع العلمي العربي

إعداد الفرد
لتأسيس مجتمع صالح

لا أكون مبالغاً اذا قلت ان هذا الموضوع يشغل في الوقت الحاضر جميع الأذهان . بل سيظل شاغلاً لها ما دام الفرد عندنا على هذا الوضع وفي هذه الحال التي نرى . وان كنت في ريب من هذا ، فتسمّع الى الناس في الطريق وفي غير الطريق . في مجتمعاتهم الخاصة والعامة ، فاذا يقولون ؟ انهم يسبون هذا الزمن ويلعنون الناس . ويستجيرون بالله من فساد الأخلاق وخراب الذمم ، والكل تقريباً في تشاؤم وقليل من تراه متفائلاً ينتظر صلاح الحال . وهذه الثورة الفكرية هي في نظري أول مراتب الكمال . فما دمنا نطمح إلى الرقي وما دامت مصر ترى أن تساهم بنصيب في رفع المستوى الانساني ، ينبغي أن نعمل جادين في سبيل إيجاد فرد قوي يتكوّن منه مجتمع صالح لتلك الحياة الجديدة التي ستخلقها لنا هذه الحرب العوس . ينبغي ان نعمل حذرين مما لا يتفق فيها مع ما وراءه من عرف صحيح .

وسأبني كلمتي في هذا الموضوع على أساسين اثنين : —

الأول : إن الحضارات كلها تقوم على الفرد ، بمعنى ان العلم الذي أوجد الطائرة أو المذياع أو الكهرباء ، هو نتيجة عمل الفرد أولاً ، لا عمل جماعة . وعلى ذلك يجب أن تقوم الدولة على خدمة الفرد ، وأن تسير الأوضاع فيها على ذلك لا على نظم من مقتضاها أن يضيع الفرد في الدولة .

الثاني : ان سعادة الفرد خاضعة لظروف والأحوال التي تحيط به ، لا أن سعادته خاضعة لاستعداده النفسي فحسب ، كما يذهب بعض فلاسفة الأخلاق . وعلى هذا سأطرح من حسابي من يدين بهذا المذهب الأخير ، لأنهم أقلية لا يصح أن نأخذ بهم حكماً عاماً .

ولننظر الآن الى الواقع من أمر الفرد في مجتمعنا الحالي ، وذلك بالنظر إلى ما يحيط به من حيث الصحة والمرض والغنى والفقر ، والعلم والجهل . ثم لننظر فيما يجب أن يكون عليه الفرد لتأسيس مجتمع صالح لهذه الحياة الجديدة التي ستقابله حتماً بعد أن تضع هذه الحرب أوزارها .

فهل الظروف المحيطة بالفرد عندنا الآن ترضى عنها عزتنا القومية وماضينا المجيد ؟ وهل من شأنها أن يشعر الانسان معها في الأغلب الأعم ، بحسّ مريح أو بحسّ مؤلم ؟ إذا نظرنا إليها من حيث الصحة والمرض رأينا عجباً . فلقد أثبت المغفور له المرحوم عبد الواحد الوكيل بك في محاضرة له بناءً عن احصاء سنة ١٩٣٨ أن في مصر من الأمراض ما لو قسم على عدد السكان لخرج كل فرد بثلاثة أمراض . وأثبت أن مصر في وفيات الأطفال متأخرة حتى عن الهند . وأن ٧٥ ٪ من عدد السكان مصابون بمرض البلهارسيا و٥٠ ٪ بالانكلستوما . ومثل هذه النسبة الأخيرة مصابون بالديدان المعوية . وأحسبني من هذه الناحية لست في حاجة الى الكلام بعد هذه الأرقام وبعد هذه النتيجة التي تعتبر وصمة في جبين الأمة بأسرها . فهذه الأمراض تحط من قيمة الفرد ماديًا ومعنويًا ، فهي من ناحية لا تمكنه من الموازنة بين انتاجه واستهلاكه ، ومن ناحية تجعله في شذوذ خلقي بحيث لا يستريح معه غيره في عشرة أو معاملة . وكل ذلك وبال وخسران .

***

وإذا نظرنا في واقع الأمر مع هذا الفرد من جهة الغنى والفقر رأينا حالاً ليست بأحسن مما قد رأينا . ذلك أن النظام الاقتصادي في هذا البلد قائم على أساس ليس من شأنه أن يحقق للفرد حياة سعيدة . وإلا فأي نظام ذلك الذي يقضي بأن يأخذ ٩٣ ٪ من الملاك ٢٠ ٪ من الأراضي الزراعية ، ثم يقضي بالباقي وهو ٨٠ ٪ من مجموع الأراضي لـ ٧ ٪ من عدد الملاك . ولست أقصد هنا أن نسلب مالكاً حقاً مكتسباً . فانا لو قسمنا الأراضي على الأفراد بالتساوي لما خرج الفرد الواحد بعشر قراريط . بل أقصد أن أقول إن هذا النظام نشأ عنه بعد النسبة بين طبقات الشعب . فعلى من يريد أن يعد الفرد لمجتمع صالح — والكل طبعاً مريد — عليه أن يعمل أولاً وقبل كل شيء على التقريب بين طبقات الشعب ، ويكون ذلك من طريق الضرائب التصاعدية بحيث يعفى منها الفقراء وصغار الموظفين ، على أن يتحمل الضريبة كبار الأغنياء بنسبة تتصاعد بزيادة الثروة . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى لا يجوز أن تبيح الدولة لزيد من الناس أن يمتلك من الأرض القابلة للاصلاح من غير أن تشترط عليه اصلاحها في زمن محدود . فانا نرى فلاناً من الناس يمتلك من هذه الأرض ما يزيد على الألف ، ثم يتركها للزمن على حد تعبيره من غير أن يجري فيها إصلاحاً يذكر ، ويجوز اره من الأسر ما لو وزعت عليهم هذه الأرض ملكيات صغيرة ، لأصلحوها واستثمروها وعادت عليهم بالخير وعلى المجتمع بالأمن .

ننظر بعد ذلك الى الظروف المحيطة بالفرد عندنا من حيث العلم والجهل . وهنا سوف لا أنظر إليها من جهة الكم أو الكيف ، بل سأنظر إلى النتيجة التي يخرج الفرد بها عندنا

من هذا التعليم . فقديماً قالوا : « القدم يدل على المسير » فهل واقع الأمر نتيجة لهذا التعليم، أن الفرد يخرج من هذه المرحلة مزوداً بالعادات والآداب العامة التي يكون لها أثر صالح في سلوكه الشخصي ، يقربه من الفضيلة ويبعده عن الرذيلة ؟

هل يخرج الفرد من هذا التعليم قادراً على أن يشق لنفسه طريقاً قويماً في الحياة ؟ هل يخرج الفرد من هذا التعليم مزوداً بالاطلاع والبحث الشخصي بعد المدرسة ؟ هل خلق هذا التعليم للفرد عقلية ممتازة بالنظام الذي يظهر أثره في حياة الفرد والأسرة ؟ هل هدانا هذا التعليم إلى حل مشاكلنا الاجتماعية ؟ وهل أخرج لنا هذا التعليم فرداً مستقلاً في عمله حرًّا في رأيه ذا شخصية محترمة له إرادة وفكر لا يخجل ولا يتردد ولا يخاف من مسايرة نظرائه في المجتمعات الطبية ؟ الأحوال والأرقام تنطق بالعكس . فمثلاً كان عدد المتعطلين عندنا في سنة (١٩٢٧) ٢١٦٢٤٣ أتدرون كم وصلوا في تعداد سنة ١٩٣٧ ؟ إنهم وصلوا ٤٨٦ ٤٧٨ أي إلى الضعف تقريباً، وفي كم سنة؟ في عشر سنوات. وهذه نتيجة ليس من شك في أنها تقلق بال الغيورين على شؤون هذا البلد .

أنظروا إلى المرافق الحيوية في البلاد تروها ليست في أيدينا ولو كان توجيه التعليم عندنا حسناً لما كان هذا . نحن لا نزال عيالاً على غيرنا حتى في السعاد البكباوي ، بالرغم من أن بلادنا زراعية . أنت حينما تمشي في شوارع القاهرة الكبرى تكاد تسلم بأنك غريب في بلدك . أين نحن في هذه الناحية إذاً، ممن يحاولون الآن إخراج الصم بوساطة الأسنان؟ وأين نحن ممن يحاولون إخضاع الطبيعة لتجمع لهم غيومها في مكان واحد وتفرغ ما بها فيه . إنهم الآن يحاولون اختزان أشعة الشمس لما رأوا أن مادة الوقود يخشى من نفادها في هذه الحرب الضروس التي لا تبقي ولا تذر . الحق أن هذه الناحية هي الأخرى تحتاج إلى وضع جديد يلائم روح العصر، ويتمشى مع ما ورثنا من عرف صحيح .

***

نستطيع إذاً بعد هذا العرض السريع أن نقول إن الظروف المحيطة بالفرد عندنا ليس من شأنها أن توجد فرداً سعيداً يحيا حياة فاضلة — وطبعاً نفتح باب الاستثناء لأقلية، هي في الواقع مثل الفرد الفاضل عندنا بلا نزاع — لذلك لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الأفراد عندنا الآن يحيون حياة مبعثرة مرتبكة مضطربة ليس فيها انسجام حتى بين أعضاء الأسرة الواحدة . بل هناك خصام وتنازع وشقاق وفوضى جرَّتها علينا هذه الظروف المحيطة بالفرد اترك الأسرة وانظر إلى نفسك في خارج بيتك وفي عملك، أترى في عملك المثالية ؟ كلا ، بل

هناك حقد وحسد ودس ونفاق وكذب . لماذا ؟ لأن الظروف المحيطة بنا كوّنتنا على هذا الوضع . هذا ولأن العدل الاجتماعي لم يُنَفَّذ بعد بكل ما تحمل هذه الكلمة من مدلول . لذلك لا تعجب إذا أنت قد رأيت الكذاب الذي يشبع عنك السوء لحاجة في نفسه . ولا تعجب إذا أنت قد رأيت المتزلف الذي يشبع شهوته على حسابك . وفي النهاية لا تعجب إذا أنت قد رأيت مجتمعاً مريضاً . وما دمنا نعترف للفرد بحق الحياة ، فالطريق إذاً لاعداده إعداداً حسناً أحد أمرين اثنين لا ثالث لهما : إما أن نعده شريراً خبيثاً جباناً سارقاً منافقاً ليلائم بينه وبين بيئته ، ويكيف نفسه وفق هذه الظروف المحيطة به ليعيش كما تدفعه الغريزة . وهذا طبعاً لا يرضى عنه دين ، ولا ترضى عنه فضيلة ، بل ولا يرضى عنه عقل سليم ، بقطع النظر عن الدين والفضيلة ؛ فالفسق مثلاً لو لم يحرمه الدين لحرمته الفطرة السليمة . وإما أن نحسّن للفرد هذه الظروف المحيطة به ، وهذا هو الاصلاح من بابه . أما أن نترك الظروف تنخر في عظام الافراد ونفوسهم ونطلب منهم بالكلام والكلام فحسب ، أن يكوّنوا لنا مجتمعاً صالحاً ، فهذا التفاف للعقل ، ومنطق معكوس ، ووضع للشيء في غير موضعه .

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

والا فكيف تطلب من الفرد ألاّ يسرق وأنت تسرقه . كيف تطلب منه ان يعدل وأنت تظلمه . وكيف تطلب منه أن يزهد في الدنيا وأنت منها متخوم . علموا الافراد معنى العدل برفع الظلم عنهم . علموهم معنى الحرية برفع الاستبداد عنهم . علموهم معنى الصدق بعدم الكذب عليهم . وما أحوجنا في هذه الناحية الى القدوة الصالحة وضرب الامثال حين توجه الافراد

***

ولتحسين هذه الظروف المحيطة بالفرد ينبغي أن نتجه الى التجارة والصناعة بجوار الزراعة وأن نجعل التربية هي الغرض من التعليم ، لا مجرد حشو الذهن بمعلومات فارغة لا تنفع الانسان حين يخرج الى معترك الحياة . والآن وإلى أن نحسن هذه الظروف ، ينبغي أن نعلن الحرب على أنفسنا ، فليتعرّف كل منا عيوب نفسه ، وليحاربها إثر عودة حتى يردها إلى الصراط السوي ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .

منصور رهيب
المدرس بكلية أصول الدين

ذوقوا فتذكروا

نشرت مجلة ساينس ديجست Science Digest الاميركية في عددها الصادر في شهر مارس الماضي مقالاً بعنوان : « الاسترخاء طريق المصريين في الحياة » لكتبي بترجمة فقرات منه والتعليق عليها، فان ترجمة ذلك المقال محروفه أمرٌ يجر الى أشياء تتحرز من الخوض فيها . قال الكاتب :

« منذ آلاف من السنين ، وضع المصريون مشروعاً حكومياً لتشييد المباني ، فأنتج ذلك المشروع الاهرام وأبا الهول . وإذا خدم المصري صديقاً مدفوعاً لذلك بدافع الكرم ، فقد لا ينورّع عن أن يطلب ما يسميه البقشيش . وليس هذا لأنه في الحقيقة يريد بقشيشاً ، بل لأنه يريد أن يمد العلاقة بصاحبه عنايةً كلام يستهويه به » .

« ان احتقار المصري للمال يظهر جليّاً من أسلوبه في التجارة . فاذا فرض ان رجلاً طماعاً أخذ يناور ، فانه يجتهد أولاً في أن يقع على شيء يحتاج اليه الناس ويشتريه بأقل مما يساوي ، ثم يبيعه بأكثر مما اشتراه به ، وليس المصري كذلك . فان المصري إذا اراد الاتجار يعمل بطريقة مصرية فذة . فيجمع قليلاً من زهارات الغاب القديمة ويضمها بعضها الى بعض أو يحصل على عناكب مصنوعة من الجص أو زجاجة فارغة من زجاجات الوسكي يضع فيها سمكات ويمشي بها في الطرق العامة باحثاً عمن يبيعها اليه » .

« لا شيء حقير عند المصري ، فلا يمن فيه تأملاً واستبصاراً . فانه يقف أحقاباً متطاولة ليقرر بأية قدمه يبدأ المشي . وقد يظل ساعات جالساً ليقرر حل يقوم » .

« يتكلم المصريون لغة لا يشاركهم فيها أحد . ويدل على جمالها ذلك المدى الواسع الذي يستعملونها فيه . فانهم يتكلمون بغير توقف وبحماسة . واللغة المصرية المكتوبة أشبه شيء بخط محسن من الاختزال ، وقد نشأت بالطبع مع القراءة . ويحب المصريون الصور المتحركة الأميركية ومسرحيات وليم شكسبير ولاسيما عُطيل » . (وقد خص الكاتب مسرحية عُطيل بالذكر لأن بطلها من البرر وفيها تصوير لناحية الشهوة الجنسية وحب الانتقام والفتك)

ولا أدل على جهل ذلك الكاتب من قوله ان المصريين كالألمانيين ، يعتقدون ان تخميش الوجه يدل على حسن الخلق ، فيخمشون وجوههم

« ان صداقة المصريين تمتد الى جميع الحيوانات كبيرة وصغيرة ، من الجمل الى الصرصور . ويجدون في الحمار وسيلة أمثل من السيارات للجولان في أنحاء بلادهم »

« ان هذه الحمير هي من ممتلكات هذه الأمة المتوارثة . فان حماراً مصرياً من الصنف الجيد قد يحمل مصرياً أثقل منه وزناً . فاذا ركب أب مصري حماره جلس على مؤخرة ظهره وبقية الأسرة من أمامه »

« ان المعزى ذائعة في مصر . وقد تعيش في المدن أو في الأقاليم في داخل البيوت أو في خارجها ، بمقتضى حالة الجو . وقد يعامل المصريون حتى الحشرات ، معاملة القديس فرنسيس العصافير » .

« يضني القاهرة قطعان من البواشق الأليفة تعيش على كرم الناس . والعصافير تجثم على الموائد وتقتات بفتاتها ، وللمصريين عيون سود ، ولون يختلف من لون القهوة المزوجة باللبن الى لون الفحم الحجري » .

« لعلمه بانه يعامل أناسي فيهم رصانة وتعقل ، تجد ان الذباب المصري آلف من غيره من الذباب في أماكن أخرى . فبدلاً من أن يطير مؤوداً لاقل سبب ، يشعر الذباب المصري أنه في بيته ، إذا ما وقف على جبهة واجتهد في أن يبني عشه هنالك » ...

* * *

إذا قيل هذا عن مصر في هذا العصر ، فانه يدل على ان الكاتب وأمثاله إنما يستغلون شهوة الجمهور الضال في أميركا ليكسبوا المال من أخس وجوه الكسب . فان مصر التي أنشأت أقدم مدنية عرفها العالم وكانت ضفاف نيلها مرصعة بالمدن والهياكل والمعابد عند ما كانت القارة الأميركية خواء خلاء يسكنها البهور والقاطور والبوما ، تتقبل هذه الهدية من ذلك الكاتب كما يتقبل البحر الواسع الجفنة المتنة . فكم من جيفة ابتلعها البحر ، وكم من جيف سوف يبتلعها على مرّ الزمن ، فلم تكدّر من صفوه ولم تغيّر من طيبه.

إن الوجوه التي يعشش فيها الذباب في مصر لأشرف الف مرة ومرة ، من تلك الوجوه التي نعرفها في شيكاغو وعصابات شيكاغو . من وجوه آل كابوني وديلنجر وأمثالهما من عصابات الكركلوكس كلان . إن هذه الوجوه وجوه بريئة ، والجباه التي يقف عليها الذباب لا تمر بها ذكريات كذكريات استئصال الهنود الحمر ، وذكريات حروب الاستئصال التي شنها أهل جنوب أميركا على سكان أميركا الأصليين . واذا أردت أيها القارىء ان تعرف ديناً من

تعالى الله . لا تعدو أصحيح ما نعلم من طبائع الاشياء ، أم
عقدة التربية نحن بيننا وبين الواقع حجاب من الاصلاح القطني ، وان وسائطنا
لادراك الحقائق ليست إلا حواسنا غير الكاملة المتغيرة في كل لحظة .
لكن ما علم منطبق على الواقع من مسرعات معلومات . فهل نحن نعلم كثيراً من
خواص الاجسام التي بين أيدينا لتعددها موضوعات للتحليل والتركيب والمشاهدات ؟
وهل نحن نعلم طبائع ما فيها من القوى ذات الآثار المادية اليومية والمستمرة في حياتنا
الدنيا حتى نستطيع أن نكيف نفس الطفل ، تلك النفس الطيعة المتمردة ، وذلك
العقل الوثاب الذي لا يقر على شيء ، غير أننا لا نستطيع مشاهدتنا أن نقف قانوناً
ثابتاً لحركات الطفل العادية . فانه ينطلق في البيت وفي الأرض من هنا الى هنا ، ولو
شددنا وثاقه لظل يسعى أطواراً في كل الاتجاهات .

ليس معنى ذلك أن نكف عن البحث في قوانين التربية ونيأس من الوصول
الى اكتشاف الغرض الاخير ، والوسائل المؤدية لهذا الغرض تتحمل على ذلك الأعمى
الرجل . ذلك ما لا نريد ، وفي ظننا أننا لو أردنا لا استطعنا تقييد تلك الارادة .
لان هذا السعي الى الكمال يظهر عليه انه بعض طبائعنا . ولكننا نرى بما نقول الى
أن التربية الانسانية عقدة ما فتئنا حلت الى الآن ، فلا بد أن يكون الخوض فيها
مصحوباً بالخاسية بعض الشيء . ويكون تقرير خير الطرائق بغلبة الظن لا بالصورة
القطعية .

احمد لطفي السيد باشا

نقلا عن الجزء الثاني من « المنتخبات » هدية المقتطف الثمينة

تاريخ هذه الوجوه التي لا يعشش فيها الذباب ، فارجع الى كتاب « سياحة حول الأرض » وسلامة دوين لتعرف كيف يكون فن القتل وفن الاخاء ندعم أردد من أن يحس به الذباب الذي لا يعشش في وجوه أولئك .

نعم اننا لم نخترع المدفع الرشاش ولا البارجة الحربية ولا القنابل الدامة . وغير لنا ان يعشش الذباب في وجوهنا من أن يخترع لنا التاريخ ذباباً خاصاً يرصع به جباهنا تلقاء تلك المخترعات ، أشبه بذاك الذي سيخترعه لأولئك الذين أنشأوا مدينة صناعية ، دينية ، ثم أخذوا يقوضونها ، لأن أرواحهم لا تحتمل الذباب إذا أراد أن يعشش في وجوههم .

إن مصر والشرق العربي كله من ورائها لن تنسى حسنة تأتيها من إنسان . ولكنها لن تتجاوز عن سيئة ترمى بها . وان الامة الاميركية الحرة ، لتنظر الى أمثال هذا الكاتب نظرة استخفاف ، عالمة ان تبادل الاحترام بين الشعوب أساس المودة والاخاء وتبادل التفاهم .

الانجليزية الاساسية

يكثر الكلام في هذه الايام عن لغة جديدة تسمى « الانجليزية الاساسية » أو Basic English . وكلمات هذه اللغة انجليزية ولكنها ليست كل الانجليزية، إذ هي لغة كاملة بمعنى ما، أي من حيث التعبير عن الحاجات المألوفة سواء بالحديث أم بالكتابة . وكلماتها ٩٤٦ كلمة مختارة من الكلمات الانجليزية التي يجري استعمالها أكثر من غيرها، كما تمتاز أيضاً بوضوح معانيها، وقواعدها هي قواعد اللغة الانجليزية، بحيث ان من يتحدث بها أو يقرأ بعض مؤلفاتها من الانجليز أو الاميركيين، لا يشعر بأنه يقرأ لغة جديدة تقل كلماتها عن الف كلمة.

وقد كثر الاهتمام هذه الايام بهذه اللغة التي وضعها صاحبها أوجدين» منذ أكثر من خمس عشرة سنة . والسبب في هذا الاهتمام يعود إلى الاتجاهات والتفكيرات الجديدة التي بعثتها هذه الحرب . فان الدنيا كلها تكاد تلوح بليجة فكرية واحدة ، هي ان هذا الكوكب يحتاج الى نظام للأمن العام يعمه كله، فلا يجوز لأمة أن تتب لجأة الى الغزو والفتح كما فعلت المانيا . وهذا الاتجاه هو الذي نجده في ميثاق الاطلنطي، وفي الحريات الاربع،وفي كثير من خطب الرئيس روزفلت، وتصريحات المسئولين في الامم المتحدة .

ولا بد أن الاتجاه نحو نظام كوكبي، يعم فيه الامن والطمأنينة جميع الامم الصغيرة والكبيرة ، يبعث أيضاً الاهتمام أو على الاقل التفكير في لغة عامة . وليس هذا التفكير جديداً في أيامنا ؛ وليست الحرب القائمة السبب الوحيد فيه . فاننا كلنا نذكر لغة « اسبيرانتو » ولغة « فولابيك» اللتين حاول الذين وضعوهما وروّجوا لهما ، تعميمها بغير نجاح كبير . والميزة الكبرى لكل من هاتين اللغتين انهما تحتوي كلمات ترجع في أصولها وتأليف جملها إلى اللغات الاوربية بحيث ان الانجليزي أو الفرنسي أو الهولندي أو الالماني لا يجد مشقة كبيرة في تعلمها . ولكن كلاً من اللغتين جديدة . أما « الانجليزية الاساسية » فليست جديدة ، لأن الذي يتعلم الانجليزية يعرف كلماتها ولا يجد كلمة واحدة غريبة فيها وقد كان غرض «أوجدين» واضع هذه اللغة أن يهتدي الى لغة اقتصادية تحوي جميع الكلمات الضرورية ، بحيث يمكن الأجنبي أن يتعلمها في نحو شهرين أو ثلاثة أشهر . وقد جمع نحو تسعمائة كلمة عني باختيارها

عناية كبيرة جدًّا . وحسب أن المتعلم لا يحتاج الى أكثر من شهرين إذا كان سيستظهر خمس عشرة كلمة كل يوم أو ثلاثة أشهر إذا كان سيستظهر عشر كلمات فقط كل يوم . ومما يدل على قيمة هذه اللغة انه أمكن تأليف الكتب الجدية بها في العلوم والآداب والاجتماع والتاريخ الخ .

ويجب هنا أن نزيل التباساً . فان « الانجليزية الأساسية » ليست كل ما يجب على المتعلم أن يتعلم . ولكنها هي البداية التي تمكن المبتدىء من قراءة أكثر من مئة كتاب ألفت بها ، وأيضاً من التوسع بتعلم كلمات أخر . والنجاح الأول يحفز على الاستمرار في التوسع والدراسة . ولذلك فان المستر « أوجدين » الذي وضع ٩٤٦ كلمة قد ألف معجماً يحوي عشرين ألف كلمة مشروحة بالانجليزية الأساسية .

وكلمة « الأساسية » تعني ان اللغة تتصف بصفة الأساس . وهي كذلك . وقد قصد المؤلف إلى هذه الغاية . ولكنه مع هذا يقول ان الكلمة Basic مؤلفة من حرف B لكلمة بريتش أي بريطاني . وحرف A لكلمة اميركان أي أميركي . وحرف S لكلمة سينس أي العلم . وحرف I لكلمة انترناشنال أي الدولي أو العالمي . وحرف C لكلمة كومرشيال أي التجاري . فكلمة « بيسيك » تعني انها لغة بريطانية اميركية علمية عالمية تجارية .

واللغة كلها مؤلفة من ٩٤٦ كلمة انجليزية ، وليس فيها من الأفعال سوى ثمانية عشر فعلاً ، وسائر الكلمات أسماء وحروف وظروف الخ . وقد اختيرت هذه الكلمات باعتبار إنها ضرورية كثيرة الاستعمال . فنحن نجد فعل Will بمعنى يريد ، ولكننا لا نجد فعل Shall بهذا المعنى ، لأن الأول قد أغنى عن الثاني . ونحن الذين تعلمنا الانجليزية وحطمنا رءوسنا في تفهم الفروق الدقيقة الدقيقة بين Shall و Will نأسف لأننا لم ندرك « الانجليزية الأساسية » .

والآن لا بد أن نتساءل : كيف اختار المستر « أوجدين » هذه الكلمات وعلى أي المبادىء استند ؟

وللاجابة على هذا التساؤل نقول : ان المستر « أوجدين » قبل أن يكون لغويًّا كان من رجال السيكلوجية أي علم النفس المعدودين . وقد وجد نفسه انه وهو يؤلف كتاب « معنى المعنى » انه استغرق في دراسات جعلته على أن يبحث الكلمات من حيث قيمتها في التفكير . فوجد أن بعضها يؤدي الى الدقة والفهم وبعضها لا يؤدي الى غير الغموض والابهام . ووجد ان في الانجليزية من المترادفات واشباه المترادفات ، ما يمكن الاستغناء عنه دون أي نقص أو خلل يصيب التعبير . ففكر في إيجاد لغة يتيسر تعلمها في أقل الوقت وبأقل الجهود ، فكانت « الانجليزية الأساسية » .

والباعث الأصلي ان « أوجدين » أراد الوصول الى لغة دقيقة محكمة تؤدي المعنى الذي يريد

بلا زيادة وبلا نقص، كما يدل على ذلك اسم كتابه « معنى المعنى » فهو في هذا الكتاب يشرح التغيرات التي تطرأ على معاني الكلمة بانتقالها من مناخ ذهني الى مناخ ذهني آخر . وبعد عناء ودراسة فكر في إيجاد لغة حسنة يتيسر تعلمها في أقل الوقت وبأقل المجهود . فكانت « الانجليزية الاساسية »

في اللغة الانجليزية مثلاً كلتا small و little بمعنى واحد تقريباً ، وكذلك large و big وكذلك begin و commence وكذلك band, ribbon, strip وكذلك skin, rind, وكذلك thread, twine, cord, string, rope فهو يستغني بكلمة عن jacket, peel هذه المترادفات . فهو يأخذ thread بمعنى خيط فيسمي الحبل « خيط ثخين » a thick thread ويستغني بذلك عن rope و cord و twine و strip وهو يستعمل skin بمعنى جلد للانسان والشجرة والثمرة .

والغرض الأول من « الانجليزية الأساسية » هو تيسير اللغة لمن يريد تعلمها من الغرباء عنها ، وكذلك تيسيرها للمستدئين من أبنائها . أما الغرض الثاني فهو امكان استعمالها لغة اضافية لجميع أبناء الامم الأخرى . لأنها تفضل لغة الاسبرانتو والنرولي . اذ هي تمتاز منهما بانها كما قلنا — ليست جديدة إذ ينطق بها أكثر من مئتي مليون، وهي حافلة بالمؤلفات والصحف . في حين ليست اللغتين الآخريين شيء يستحق الذكر من المؤلفات أو الصحف . وقد أدخل المستر « أوجدين » في لغته اكثر من خمسين كلمة تستعمل في جميع اللغات مثل تليفون . اتومبيل تلغراف . راديو . بار . هوتيل . كلوب . فالأجنبي الذي ينوي تعلم « الاساسية » يجد قبل أن يتعلم منها حرفاً ، انه يعرف نحو خمسين كلمة منها ، لأنها كانت جميعها في لغته الأصلية .

ثم هو عندما يتعلم هذه اللغة يستطيع أن يتوسع . وهو في توسعه سيحتاج إلى كل كلمة من « الاساسية » إذ ليست فيها كلمة مضيعة أو مخزونة أو نادرة الاستعمال ، كما هو الشأن في جميع لغات العالم .

وقد اختار « أوجدين » لهذه اللغة ثمانية عشر فعلاً ، واستغنى عن جميع الافعال الاخر في اللغة الانجليزية . وأفعاله هذه هي

[illegible], get, give, go, keep, [illegible], put, seem, take, be, do, say, see, send, begin, have, will

وقد نعجب كيف يمكن أن تكفي ثمانية عشر فعلاً للغة ! ولكن « أوجدين » يستعمل الأسماء الكثيرة مع الافعال القليلة ، فيصل منها إلى كل ما يحتاج اليه المتكلم أو الكاتب في الحاجات العادية . ولننظر مثلاً إلى فعل give فان هذا الفعل يمكنه أن يؤدي نحو عشرين معنى فنقول مثلاً

يحيط	go round	يجري	go very fast
يعبر	go across	يدخل	go in
يسافر	go away	يتابع	go on
يتعقب	go after	يطوف	go from place to place
يعود	go again	يخرج	go out
يهجم على	go against	يخترق	go through
يسبق	go before	يزور	go to
يمر	go by	يصعد	go up
ينزل	go down	يشاكل	go with
يذهب ليحضر	go for		

وفي اللغة الانجليزية نحو أربعة آلاف فعل، ولكن «أوجدين» يقول ان استعمال ثمانية عشر فعلاً يقوم مقامها، أو على الأقل يقوم مقام أكثرها وهو هنا بعناية من يستعمل فعل ذهب فيقول:

ذهبت حول الحديقة بدلاً من طوفت . وذهبت من جانب الى آخر بدلاً من عبرت .
وذهبت الى الاسكندرية بدلاً من سافرت . وذهبت خلفه بدلاً من تعقبت .
وذهبت الى سفح الجبل بدلاً من نزلت . وذهبت الى قمة الجبل بدلاً من صعدت .
وذهبت بسرعة بدلاً من عدوت . وذهبت الى منزله بدلاً من زرته .
وذهبت خارج الغرفة بدلاً من خرجت . وذهبت الى الغرفة بدلاً من دخلت .

وواضح ان ثمانية عشر فعلاً نستطيع أن نؤدي مع نحو ثمانمئة اسم وحرف وظرف ، آلافاً من المعاني اذا اتبعنا هذا الاسلوب . وهذا الاقتصاد في الكلمات يشجع الاجانب على تعلم الانجليزية . فان اللغة كلها تكتب كلماتها في ورقة واحدة تلصق بالكتب المؤلفة بهذه اللغة، وهي كما قلنا تزيد على مئة كتاب تعالج الفنون والعلوم والآداب وتترجم مجلداتها من مئة صفحة الى أربعمئة أو خمسمئة صفحة

وسواء قدّر لهذه اللغة أن يتعلمها أبناء الأمم الأخرى أم لا، فانه من الجلي أن الطريقة التي ألفت بها، تجعل تعلمها للمبتدئين يسيراً . وكثير ممن شرعوا في تعلم الانجليزية انقطعوا عن متابعة الدراسة وهم في وسط الطريق لوفرة ما فيها من كلمات تزحم الذهن وتبلبله ، مع أن القليل من هذه الكلمات المختارة في « الانجليزية الأساسية » يكفي للتعبير الدقيق والفهم الصحيح . وإذا كان المبتدىء نفسه قادراً على أن يقرأ نحو مئة كتاب في مختلف المعارف البشرية، فانه سيتجرأ ويتغلغل في الانجليزية، وعندئذ تتفتح أمامه ملكة كبرى من ملكات الفكر، لا يقل ما يطبع فيها في اليوم عن مئتي كتاب جديد

شكري موسى

تطورت الاجتماع الانساني

الاتجاه الحضاري

لديمقراطية الغد

تجتاز الانسانية اليوم مرحلة حاسمة من مراحل تاريخها الحافل ، وتشرئب أعناق روّادها والمؤمنين على أقدارها إلى رحاب الآفاق الجديدة ، ليتلمسوا من بين أحداث الحاضر ووقائع الماضي أوضاع الحقائق السياسية والاقتصادية التي يجب أن يقوم عليها عالم الغد ، وهو عالم عقدت عليه هذه الانسانية آمالها الكبار ، عساها تنعم في ظلاله بحياة رخاء وإخاء وسلام لا يقصر لها أجل .

واستقراء الأدوار التاريخية التي مازت بها الحضارة الانسانية في مختلف صورها وعصورها ومناشئها تذكرنا بها ، يقطع بأن هذه الحضارة المتحركة ستظل محكومة بقانون أبدي هو قانون التطور الاجتماعي ، بمظهريه المادي والروحي .

فادية التاريخ ، سواء على الوضع الماركسي المتطرف ، أو الوضع الرأسمالي الجشع ، أو الوضع الاشتراكي المعتدل ، ليست سوى السناد الجوهري أو المادي الذي تقوم عليه الصروح التي تناوبت حياتنا الأرضية منذ فجر حضاراته . أما روحية التاريخ أو حركة الفكر في مسالك الزمن ، على حدّ ما ذهب إليه الناس في «هيجل» ، فهي الصورة أو الأسلوب الذي تتطور به الأحداث المادية لتتناسب والانسان ، والقالب الذي تنصب فيه اتجاهات نشاطه في هذه الحياة ، ومن هنا كان العمل والمادة كلاهما ملاك الحياة الانسانية كلها ، لا عمل لقانون التطور إلا بهما جميعاً ، وإن تباينت بينهما النسب والأوضاع حيناً وتقاربت حيناً آخر ، على حسب الظروف والملابسات وخصائص البيئات .

والحق أن دراسة التاريخ الحضاري كله ، قوامها نزعة سيكولوجية مركوزة في أعماق الفطرة الانسانية ، تعبر عن مرادها وملكاتها إلى تشذان ما يكمل نواحي النفس الكامن في طياتها . وتستهدي بهذه الفطرة إلى تحقيق التجاوب بين عناصر الشخصية الانسانية وعناصر المحيط الخارجي كله . وبعبارة أخرى بين عالم المُثُل الذي تتحكم في رحابه أحاسيس النفس ورغباتها ، وعالم الواقع الذي يباين في كثير من أوضاعه وحقائقه خيالات الانسان .

ومن ثمَّ كانت الحياة الانسانية سلسلة موصولة الحلقات متلاحقة الأدوار من الانقلابات المادية [١] والثورات العقلية والروحية [٢] ، ولعلَّ هذه الانقلابات والثورات تكون بمثابة التمديد والبسط لتلك النزعة السيكولوجية العميقة التي تهدف بالانسان الى دوام التطلع الى تجديد القيم التي تحكمه وتحيط له اقداره ، والى التسامي الأبدي الى بعث رواقد المثل المكبوتة في أعماق وعيه الباطن ، ليراها ممثلة في شرائعه ونظمه وأساليبه المادية في استغلال الحياة . هذا الانسياق الحثيث وراء نزعة الكمال الروحي ، وذلك الدأب المتصل في سبيل الهيمنة المادية على قوى الحياة ، هما الطابع المميز لحركة التطوّر التاريخي التي انتظمت أجيال البشرية في ظل أنماطها الحضارية المتلاحقة ، وهي حركة تنطق بروعة هذا الكفاح الهائل ، تجلله النفس الانسانية لتحقق به ذاتها مستوى اجتماعيًّا أقوم وأرفع ، وتسمو في به ما ينقص شخصيتها من عناصر تقدمية وصفات سلوكية ، تؤهلها لملاحقة موجات التطور ومسايرة وثباتها القريبة والبعيدة ما استطاعت إليها سبيلاً .

والشخصية الانسانية المحفوزة الى أن تسمو في التطور حظها من المدركات والتجارب ، وإن أن تحقق في العالم الخارجي مكنوناتها التي أفصحها التأمل والنظر ، هي الشخصية الاجتماعية المتوازنة ، التي يكون في مقدورها أن ترسم لذاتها مجالات النشاط والحرية ، أو بمعنى آخر حدود الحق والواجب ، حقها على المجتمع أو الدولة وواجبها إزاءها .

وحدود الحق والواجب على وجه عام ، لا تعدو استعداد الفرد وتهيأه لادراك حقيقة الروابط والعلاقات التي تصله ببقية أفراد مجتمعه ، لمبادلهم تضامناً معنويًّا وحسيًّا قوامه فهمه لالتزاماته الاجتماعية والقومية بوصفه عضواً في مجتمع مدني ، وكذلك فهمه لالتزامات دولته إزاء سائر الدول ، بوصفها عضواً في مجتمع دولي متشابك الأواصر والعلاقات ، ولن يؤتي هذا الفهم نتائجه ، إلاَّ إذا بني على قواعد مستقيمة قوامها ثقافة اجتماعية حرة ، تؤكدها شواهد إنسانية عامة ، وتضبطها مبادىء عالمية مشتركة ، تسامى في أعناقها وأعلائها شعوب العالم المتمدين كله لا فرق بين أجناسها وأوطانها جميعاً .

ولعلَّ من الشواهد الاجتماعية التي تكاد تجري مجرى البداهة في تاريخ الحضارة ، استحالة تدرج هذا التطور في مدارج سلمية ، وإباءه الانسياق في سلسلة من الاطرادات الهادئة المطمئنة ، ومن ثمَّ تراءت لنا حلقات التطوّر التاريخي المتعاقبة ، في صور متباينة

(١) فالعصور التي توالت منذ العصر الحجري الى البرونزي الى الحديدي الى العصر الحاضر عصر النوى الكبرطيسية فحواه ، ليست جميعاً الا سلسلة انقلابات مادية متعاقبة في تاريخ الانسان .

(٢) كالاديان السماوية والعقائد الوضعية وشتى المبادىء الاجتماعية الاخرى التي خضع لها الانسان .

من الالتواءات والانقلابات التي تستبين في وقائعها وأحداثها عناصر داوية للكفاح والصراع في سبيل الغلب والبقاء .

وكما أن من الجائز أن يقل دأبُ الحضارة الانسانية وسعيُها إلى الوصول إلى مثلها العليا منوطاً بهذا الكفاح الملحوظ في تاريخها ، فان من الجائز أيضاً أن ترجح ظهور عوامل فعّالة قد تقلّل من حدته وتعامن من عنفوانه ، وخاصةً وأن الانسانية تستشعر اليوم بحدس يقرب من اليقين الصائب ، أنها تجوز بعصر من عصور الاستنارة واليقظة، يعينها على أن تفيد من اتجاهات هذا التطور وانقلاباته منذ عصر الثورتين الاميركية والفرنسية، فعصر الحرب العظمى الماضية ، فهذه الحرب العالمية المعاصرة.

وثمة ما يؤكد هذا الأمل المرتجى في ظهور هذه العوامل الخيّرة التي تطب أدواء البشرية وتخفف من نكبات الحضارة . على أن التفاؤل المطلق أو التشاؤم المحض، لا يمكن اتخاذ أيهما معياراً سليماً لقياس مذاهب الحياة الانسانية أو ميزاناً دقيقاً لتقدير طبيعة الخصائص والمشكلات التي ينطوي عليها الاجتماع البشري . فليست الحياة الانسانية معركة لاهية من الصراع الحيواني فحسب ، وليست هي كفاحاً دامياً تزجج هوائجه غريزة إفناء الذات التي يحدثنا عنها علم النفس ، ويعزوها إلى الصفات البدائية التي تسربت في أغوار الانسان منذ عصور همجيته البائدة ، بل انه الى جانب هذه الغريزة الكامنة غريزة أخرى تعارضها ولا تني تكظم ثوائرها ، هي غريزة حب الذات والحرص على حفظها من عوارض الهلاك والفناء .

وغريزة المحافظة على الذات هي التي حفزت الانسان الى إيثار التعاون والتضامن مع أبناء جنسه ، ورققت حواشي الحياة وعمرتها بالتراحم والمحبة الى الحدّ الذي يرجى معه إقالة الانسانية من عثارها في أعقاب الانقلابات الدامية والحروب المدمرة التي تهدد مصاير الحضارة ، وهكذا تحيل هذه الغريزة عوامل الحروب الى عوامل للسلام ، وتطلع على العالم بمُثُل جديدة وأوضاع أقوم، تعزز جوانب الخير في شخصية الانسان ، وترفع مستوى حياته مراتب ودرجات .

جاءت الثورة الفرنسية الكبرى في أعقاب أختها الاميركية بانقلاب اجتماعي زلزل قوائم الحياة في مؤخرات القرن الثامن عشر ، وأخذ يتجه بالحضارة الأوروبية وجهة جديدة لم تكن تعرفها من قبل ، وان كانت أماراتها قد ظلت مستسرة في أعماق الضمائر التي أضناها شذوذ أوضاع الحياة، وفداحة مظالمها في ظل الطغيان الفردي الغاشم ، حتى جاءت أفكار الكتّاب والفلاسفة، وهم طلائع التقدم ورواد البعث الجديد ، يبصرون مكنونات النفس الأوروبية المكبوتة ، في صور مثالية رائعة، هي مبادىء الحرية والاخاء والمساواة ، ونادوا

بها حقوقاً طبيعية أبدية للانسان ، في كل زمان ومكان .

غير أن بيئة المجتمع الاوربي لم تكن مهيأة يومئذٍ لتقبل هذه المبادىء واستيعابها في تطبيقات الحياة والعمل ، فالتفكك الاجتماعي بين الطبقات ظلّ ضارباً أطنابه خلال شطر كبير من عصر الانقلاب الصناعي في القرن التاسع عشر ، والطبقة الوسطى التي ألهبت أتون هذه الثورة واضطلعت بتوجيه أقدار المجتمع الثوري في فرنسا سامت الحياة الاجتماعية في ظل أوضاع « بورجوازية » مستهدية بأغراض نظام سياسي يمكن أن نعته باسم « الديمقراطية الرأسمالية » التي تجعل فرص الحياة وقفاً على طبقة الرأسماليين من رجال المال والأعمال ، وهكذا أخذ « المشروع الاقتصادي » في صورة « الانتاج الكبير » مظهر الاستغلال الفاحش ، تثرى به طبقة على حساب أخرى ، وتهيء للطبقة الممتازة كافة فرص الحياة من تربية وثراء وعمل رابح وحظٍّ موفور من سلطان السياسة وجاه الأحزاب .

وظلت العلاقة بين طبقة « السادة » وطبقة « المسودين » ، أو بمعنى آخر بين طبقة أرباب الأعمال وطبقة العمال ، ملتزمة حدود هذا الوضع الماثل ، حتى هيأت ظروف الصناعة الجديدة ، في النصف الثاني من القرن الماضي ، أذهان الناس لاستشعار مساوىء الحياة على هذا النحو الظالم ، ومن ثمّ توالت حركات « النقابية » في شتى أشكالها تغزو المجتمع الأوربي وتلوّن في اتجاهات نظمه السياسية ، وترسم حدوداً جديدة للعلاقات التي يجب أن تربط بين الطبقات .

وانبعثت في الأفق الأوربي نزعة المذاهب الاشتراكية لتبشر الطبقات المهيضة بحلم العدالة الاجتماعية . واستحلّ منظرو الاشتراكيين وسائل العنف الثوري لتحقيق هذه العدالة على الأوضاع التي صوّرتها كتابات دعاتهم وجعلتها شرعاً أولياً لرجحان كفة العدل والحق وانسحاقه على كفة الجور والباطل والاستبداد في المجتمع البشري .

وشبت الحرب العالمية الماضية في ظل عراكٍ لاهب بين هذين المبدأين الاجتماعيين ، مبدأ الفردية بمعناه الذي أرادته ثورة فرنسا الكبرى من جعل فكرة الفرد الاساس الذي يبنى عليه المجتمع ، ومبدأ الاشتراكية على المعاني المتعددة التي أنتابت هذا المفهوم من ظروف اقتصادية في ظل ذلك الانقلاب الصناعي الكبير . ففي ناحية السياسة القومية إذن ، كان الفرد الاوربي ، وكذلك أخوه الأميركي بطل الحرب الأهلية عام ١٨٦٠ والحرب العظمى عام ١٩١٤ - ١٩١٨ ، يجاهدان ليحررا الحياة الاجتماعية من آثار نظام الاقتصادية ما استطاعا سبيلا إلى هذا التحرير ، ويصوغان لهذه الحياة « يوتوبيا » جديدة يقوم فيها توزيع الانتاج واستهلاك ثمرته على مبادىء ديمقراطية عادلة تحارب شرور العوز والفقر ،

تلك التي كانت وما تزال مصيبة المجتمع البشري في شتى أطوار حضارته .

أما من ناحية السياسة الدولية فقد كان المظنون أن تكون هذه الحرب العالمية الماضية فاتحة عصر جديد للاخاء الشعوبي تمحى فيه فوارق العناصر والاجناس وتندمج فيه تحوم الأوطان والقوميات ، وبهذا تحقق آمال هذه البشرية العانية في أحلام السلام والوئام .

لقد جاءت تلك الحرب لتصفية التركة الاستعمارية في ظاهر الامر ، وان بانت الحقيقة المرة، هذا الظاهر انخدع وتبت عنه ، إذ كان أول ما ألهب جذوتها نزعات « الامبريالزم » والتزاحم الاقتصادي على مناذح الطبيعة فيما وراء البحار ، ومواراة خدمة الأغراض التي أتاحها عصر الكشوف الجغرافية في مطالع عهد الاستنارة في اوربة ، تلك الأغراض التي ترمي الى الفتح للامتلاك والاستغلال والاثراء !

لقد علل دعاة التوسع الاستعماري في أواخر القرن الماضي حرص الدول الكبرى على تملكاتها بنظرية اجتماعية مصطنعة ، قوامها ان الاستعمار ركن من أركان الحضارة ، ولما كان من اخص ما يعيب هذه الحضارة ذات الطابع العالمي الشامل عدم استغراق مبادئها لشعوب البشرية كافة ، كان حتماً مقضيًّا على شعوب الحضارة ان تستعمر الشعوب المتأخرة عنها لتصوسها وتنظم حياتها وتنهض بمرافقها ، ثم لتردها من بعدُ الى حظيرة الانسانية المتمدينة، أمماً مصقولة راقية !

كانت هذه « الحقيقة » المزعومة ماثلة سافرة أمام أعلام السياسة العالمية في مؤتمر السلام عام ١٩١٩ ولم يكن امامهم من سبيل الى انكارها دفعة واحدة ، او لعلّ وجة الحرب الماثلة لم تكن كافية لاحداث تطور بعيد في سبيل الاخاء الشعوبي العام ، ومن ثمت اضطروا أمام وعودهم ومواثيقهم أن يحوّروا في صور الاستعمار وأشكاله ، ليوفقوا قدر الطاقة بين مبادىء ولسوق الأربعة عشر وأسس هيئة السلام الجديدة ، وبين حقائق الأوضاع الدولية في ظل نظام الاستعمار ، وعلى ذلك ابتكروا ما سموه بالوصاية أو الانتداب أو الحكم الذاتي، وسائر هذه النظم التي عدوها مرحلة انتقال لابد منه كي يُمدوا الدول الخاضعة له للاضطلاع بأعباء الاستقلال ، ومزاولة حقوق السيادة ، وكسب القدرة على ملاحقة ركب الحضارة .

ومن أسف أن تجيء الأوضاع الجديدة والنظم المستحدثة في ظل تركة مثقلة بالمشكلات المتخلفة عن تلك الحرب ، سواء أفي المحيط القومي أو الدولي ، مثاراً لسلسلة جديدة من الاضطرابات السياسية والأزمات الاقتصادية تلاحقت في أعقابها هزّات اجتماعية مهدت بدورها لاثارة حرب عالمية أخرى جاءت أهول من الحرب الاولى وأبشع نكيرا .

لم ينعم عالم السياسة العالمي برغم مستوى الحياة الانسانية في ظل وفرة اقتصادية وتقدم

اجتماعي يقيلان هذه الانسانية المفككة من حضيضها الأوهد ، المهمّ إلاّ محاولات نظرية وجهود طيبة ، وإن كانت متواضعة ، أرادت أن تثبت بها حتمية الأمم كيانها وتبرّر وجودها في ناحية جليلة من نواحي العمران البشري ، هي ناحية الاصلاح الاجتماعي الذي ينتظم شعوب البشرية بغير ما فارق في الدين والجنس والوطن .

جاءت النكسات السياسية في صورة انقلابات فاجعة في نظم الحكم ، حوّرت الأوضاع الدستورية وزلزلت قوائم الديمقراطية في الأمم التي خرجت مهيضة الجناح من تلك الحرب العالمية الأولى ، وتمهّدت من ثمّ لقيام نظم الطغيان في أسلوب دكتاتوري شلّ إرادة الفرد وانضم شخصيته وسخرها للدولة ممثلةً في حاكمها المطلق ، الذي رفعه الشعب المخدوع إلى أعلى مراتب التقديس والعبادة .

وسايرت الانقلابات الاجتماعية تلك النكسات السياسية مسايرة الظل لجسمه ، لأنها لم يمهّدا لغير لون واحد من ألوان الجهاد ، هو جهاد العدوان البربري والصراع الحيواني على إهدار حقوق الأمم وسلب مرافق الشعوب وحرياتها في سبيل ما زعموه « مناداح للحياة » !

وكأنما استشعرت الانسانية المتحضرة شذوذ ما فرض عليها من أوضاع للحياة ، لانثلام طبيعة العيش في ظل الحضارة ، وأحست فداحة العبء الذي فرضته هذه الأوضاع على الأفراد بعد أن حرمتهم حقهم الآدمي المعقول في فرص عادلة لحياة خصبة مثمرة ، حياة اجتماعية مطمئنة تجعل الانسان يجاوز نفسه ، ساعياً بالفكر والعمل وراء الحق والخير والكمال ، فتطلبت النهوض والتنفس في لون آخر للجهاد .

أرادت هذه الانسانية أن تتنفس إذن لتفرّج عنها أوجاعها وتفرز خبائثها وترحض عن جراحها نجيعها الفاسد ، فامتشقت السلاح مرة أخرى وخاضت معركة الحياة والموت لتعيد إلى القيم الانسانية حرمةً ، طاحت بها هذه النكسات العارضة في سير الحضارة .

وجاء وحي الجهاد الجديد في ظل هذه الحرب العالمية الثانية ، ذا آثار بعيدة ونتائج قيمة أدت إلى تطورات ذات بال في اتجاهات السياسة العالمية وأحدثت تقدماً محسوساً في مجالات الاصلاح الاجتماعي والتعاون الانساني العام .

وكأنما أراد ساسة العالم الديمقراطي ألاّ تسبقهم عجلة الحوادث وتزحمهم مشاكل السلام وتضليل أفكارهم عقده ومفاجآته . فبدأوا بتحديد أهداف الانسانية من وراء هذه الحرب ثم أخذوا يطبرون لها ألوان العلاج في نواحي السياسة والاقتصاد والاجتماع ، حتى تخرج هذه الانسانية من الحرب وقد برئت من أدوائها وعيوبها ما استطاعت إلى هذا الأمل العزيز من سبيل .

ولسنا هنا في حاجة إلى تكرار ما سبق أن سجله الباحثون من تفاصيل الأحداث العالمية التي تعاقبت بعد ذلك ، ولا نحن بصدد ترديد نظريات التفاؤل والتشاؤم ومرافبة أثرها في سير العمران البشري وبعث روافد الحياة أو تعويقها فيه ، وإنما سبيلنا هو تصوير الأهداف وتسجيل الخصائص البارزة التي ستعطي لحضارة المستقبل طابعها الخاص ، مستهدين بهدى التطورات التي ما زال بعضها آخذاً برقاب بعض حتى ساعة كتابة هذه السطور .

١ — تطور نظم الاستعمار وسياسة الحكم وسيادة الدول

ليس من شك أن ثمت تطوراً ملموساً بدأت تتداح دائرته في محيط السياسة العالمية من حيث علاقة الشعوب الكبيرة بالشعوب الصغيرة . وسواء أكانت النظريات السياسية الجديدة التي يجري وفقها هذا التطوّر بمثابة عودٍ إلى نظم الماضي بعد تحويرها وتعديلها لملاءمة الظروف الجديدة ، أو كان أفق التعاون الدولي سيطالعنا بصور جديدة معقولة قوامها العدالة الدولية الى أقصى ما يستطيع أن يصل اليه ضمير الانسان في ظروفه المادية والأدبية الحاضرة ، فانه مما لاريب فيه ان الاتجاهات السياسية التي ستسم عالم ما بعد الحرب ستنطوي على أقصى صور التفاهم والتسامح والتعاون بين شعوب العالم كبيرها والصغير ، وخاصة وقد أظهرت هذه الحرب ضرورة إيجاد هذا التعاون لتخليص الأمم المنكوبة والشعوب المنهوكة من عقابيل هذا الصراع ومتاعبه الهالكة .

ولا شك أيضاً ان المجتمع الدولي سوف يتخلص إلى حدّ كبير من شرور السيادات الباغية التي كانت تغذيها العصبيات القومية وأحلام الجامعات العنصرية وأساطير التفاضل بين الاصول والاجناس . وسيكون ميزان النظر الجديد إلى مشكلة السيادة قائماً على أساس مرافق عالمية ومصالح دولية مشتركة وتضحيات تسام فيها الامم جميعاً لتحقيق أقصى ما تستطيعه للعالم من سلام ورخاء . ولعلّ أبرز خصائص الطابع الديمقراطي الحديث هو تحقيق هيئة دولية عامة تكون بمثابة « برلمان » لامم العالم ، على ان يُزوَّدَ في دستوره بقواعد وحقوق وسلطات تخرج به عن مجرّد الأوضاع الصورية والمذاهب النظرية إلى مجال التطبيق الحاسم الذي يصون حرماته إجماعٌ دوليٌ على توحيد علاج المشاكل العالمية من حيث المبادىء العامة ، والقضاء على العدوان والبغي ، والمساهمة الفعّالة في نشاط هذا المجلس من النواحي الاجتماعية والاقتصادية الأخرى . وها نحن أولاء في انتظار نتائج مؤتمر سان فرنسيسكو الذي سيناقش مبادىء مؤتمر دمبرتون اوكس ، راجين أن يكون مظهراً مشرّفاً رائعاً للتعاون بين أمم العالم المتحالفة في سبيل إقرار حقوق الانسانية وحرياتها

ب — اشتراكية التضامن الاجتماعي

وإذا كانت الانسانية تكافح اليوم في سبيل إقرار قواعد جديدة للقانون الدولي تحتكم إليها الشعوب كافة، فإنها تكافح أيضاً في سبيل أقداس اجتماعية وأخلاقية تحكم وتنظم الروابط والصلات بين أعضاء كل مجتمع بشري. فالنسبة بربرية القوض الدولية التي تحكم القوة الغاشمة وتغلبها على حق العهود والمواثيق: ليس إلا مظهراً لوضع فوضي آخر هو فوضى النزاع بين الطبقات في المجتمع الواحد، والذكاء واضحاً لحقيقة الصراع الاجتماعي الدائم بين هذه الطبقات.

إن أمثل أسلوب لديمقراطية الحكم هو الذي ينزل الى صميد الحقائق ليستكشف أدواء الجماعة ويتعرّف الى أسبابها ليعالجها لا بأساليب الارتجال والدجل، بل ببصائر التجارب وسلاح العلم، والايمان بأن الحياة أخذ ورد، وبمعنى آخر يجب ان يسلك المجتمع الانساني إلى حالة من التوازن والعدالة يحصل كل فرد في ظلها على ما يحتاج اليه، لا ليكفي ضروريات هو وأسرته فحسب: بل ليرقى كذلك بالمستوى الاجتماعي الذي له ولأسرته. ومن شأن هذا الوضع ان يقفنا على حقيقة معنى التضامن الاجتماعي الذي تمليه روح هذا العصر، وهو تضامن يقتضي تهيئة الفرص التي كانت ظروف الحياة الاجتماعية الماضية تجعلها وقفاً على الطبقات الممتازة المثرية دون سواها. فحق الحياة الطبيعي هو حق الانسان في أن يوفر له مجتمعه الغذاء والكساء والمأوى والعمل والحصول على نصيبه من ثمرات التقدم والرقي. والناس ما عاشوا في مجتمع الا ليتمتعوا بحق الحياة ويصونوا حرمة الآدمية وكرامتها في أسلوب هذه الحياة وصورتها. والمصالح الفردية المتماسكة يجب أن تكون مصالح متضامنة يكمل بعضها بعضاً، وإلا انهارت قيم التضامن في الجماعة، وتقوّض بناؤها.

لهذا لم يكن عجيباً أن نذكر مظاهر الكفاح الحكومي تتعدد حوادثه في الأمم الراقية لمحاولة القضاء على العوز والفقر الذي يحول بين الفرد وبين نصيبه من الصحة والغذاء والتربية من يوم أن ينشأ في مهده إلى ساعة دَرْجه في لحده، حتى لقد حقّ لنا أن نسمي هذا العصر بعصر الضمان الاجتماعي الحديث.

إن رفع مستوى المعيشة للشعوب أصبح هدفاً قومياً وعالمياً معاً. فهذه انجلترا تشفق مثلاً من هول مشكلات البطالة وما قد تعرّض المجتمع البريطاني بإزائه من أخطار الاضطرابات والقلاقل الخطرة بمواصفه اجتماعية لا تبقي ولا تذر، فراحت من ثمت تسارع إلى دراسة قواعد السياسة الاجتماعية السليمة التي يجب أن تنظم الصلات والروابط بين

طبقات المجتمع الانجليزي ، وتتمخض دراساتها عن مشروعها العظيم المسمى باسم واضعه السير وليم بيفردج للقضاء به على عمالقة العوز والمرض والجهل والقذارة والعطل التي لا يتحقق للجمعية البشرية معها ضمان اجتماعي ، ما دامت هذه العمالقة تسيطر على حياة الانسانية ، كما قال أستاذنا الفاضل رئيس تحرير هذه المجلة . ولسوف تتوازن دخول الأفراد وحقوقهم الاجتماعية والسياسية بفضل هذا المشروع ، لو صدقت النية على إنفاذه وتحقيقه واقتباس الدول ما يتفق من مبادئه مع ظروفها .

ورفع مستوى المعيشة هدف عالمي أيضاً ، وحسبنا ان يسجل ميثاق الاطلنطي في بنده أساسي من بنوده الاربعة ، عزم الدول المتحالفة على مساعدة الشعوب لتتحرر من العوز والفقر . ولقد تألفت اللجان الدولية التي نيطت بها مهام اجتماعية جسيمة سيتقرّر بها المصير العمراني للعالم ، وتمدّدت نواحي نشاطها ، فواحدة لمساعدة والتعمير ، وأخرى لحل المشاكل الاقتصادية والمالية ، وثالثة لدراسة الوسائل المنشطة للمرافق العلمية من زراعة وصناعة وتجارة ومواد خام وهكذا

والاعتقاد السائد اليوم هو أن الفقر إذا حلّ في مكان سرت عدواه الى أماكن أخرى ، فهو يكون محليًّا في بداية أمره ، ثم يصبح أهليًّا فوطنيًّا ، ومع مضي الزمن يستحيل الى داء عالمي ، وذلك لأن الانسان لا يستطيع أن يعيش وحيداً بمعزل عن الناس في هذه الحياة والاجتماعات الاقتصادية لها طابع الشمول والعموم على الدوام .

ح — حرية الرأي والاعتقاد

كفلت الدساتير القومية في كافة الأمم المتحضرة تلك الحريات الفردية التي لا يستقيم بغيرها تقدم اجتماعي أو رخاء مادي . ولقد أحاط كثير من هذه الدساتير تلك الحريات والحقوق بضمانات تشريعية كافية .

ولم تكن حركة الدساتير التي ظلت مشبوبة الأوار طوال القرن الماضي ومطالع هذا القرن ، سوى انعكاس قوي لنزعة التحرر الفردي والاستماتة في سبيل اجتياز الحقوق التي تعرضها كرامة الحياة على الآدميين ، ولم يكن انقلاب الثورة الفرنسية الكبرى وما تبعها من انقلابات سياسية واجتماعية إلا استمراراً لصور هذه النزعة الفطرية في سبيل الخلاص من ربقة الضغط والاستبداد وتكميم الأفواه ومحاربة العقائد .

لقد وجه العالم في أعقاب الحرب العالمية الماضية نكسة قوية من نكسات الحضارة كانت أعراضها تلك الانماط الدكتاتورية التي فضت على أسس مبادىء النظام الديمقراطي ونعني به مبدأ الحرية في أشمل معانيه .

وإذا كان أروع مظهر تتراءى فيه الحرية الانسانية هو حرية القول والرأي ممثلة في معاهد التربية ودور العلم وسلطان الصحافة ، فليس يعسر علينا أن نتصور مدى النكبات الفادحة التي أصابت الحضارة عند ما فرضت بعض الدول القيود والسدود والأغلال على هذه الحرية . لقد أثبتت وقائع التاريخ أن المستحيل بعينه هو أن يحكم شعب أو يقوم له نظام وهو محروم من حرية القول والرأي ذلك لأن الناس كما قال بعضهم أو كما يقول الواقع ينفسون بعقولهم مثلما يتنفسون برئاتهم ، فلا جرم كانت هذه الحرية أول دعائم الحضارة الانسانية وكانت لها أيضاً مرتبة الصدارة في استحثاث خطوات تقدمها .

ولقد جاءت أحداث الكفاح الحالي مدللة في منطقها بأصرح دلالة على أن الحضارة الانسانية لا تقبل بطبيعتها انتكاساً يسلبها ما جاهدت القرون والأجيال من أجله ، كما ان عوامل التقدم والارتقاء المبثوثة في روحها تأبى تحكم القوة وتنبذ شريعة الغابة .

لقد عددت لنا الحضارة الحديثة وسائل التعبير عن الفكر في شتى اتجاهاته . فثمة الطباعة التي تربت في حجرها الصحافة ، وهناك « السينما » ذات السلطان الساحر على نفوس الجماهير ، وجاء « الذياع » و « التليفزيون » يكملان ما كان ينقص الانسان من أسباب التعبير والتصوير عن الافكار والمشاعر والآراء .

ان الاتجاه الديمقراطي لحضارة الغد لا يمكن أن يمهد طريقه ولا تذلل عوائقه ، إلا إذا نظمت أمم العالم المتحضر هذه الحرية وجعلتها الناموس الأول في نظام حياتها .

فاذا كان ميثاق الاطلنطي قد عرف خطورة مشاكل القوت والكساء عند الافراد والجماعات، فهو قد عرف أيضاً هذه الخطورة لقوت العقول والاذهان وليس شك في أن كل من جاهد في هذا السبيل الشريف ستقدره الانسانية ، أنه كان من صناع التاريخ وبناة الحضارة .

صلاح الدين الشريف

﴿ مصادر المقال ﴾

(١) E. Benes : Democracy to-day & tomorrow

(٢) H. G. wells : The Rights of Man

(٣) مجموعة خطب ومقالات بالانكليزية لكل من تشرشل وروزفلت وستمز وبلر

مكتبة المقتطف

ابن رشد الفيلسوف

حلقة من سلسلة « أعلام الاسلام » التي تنشرها لجنة دائرة المعارف الاسلامية . تأليف الاستاذ محمد يوسف موسى — ١١٨ صفحة من القطع الصغير : ١٩٤٥

حلقة من سلسلة « أعلام الاسلام » وضعها حضرة الأستاذ محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين ، والمعروف للقراء بكتاب « فلسفة الأخلاق في الاسلام وصلتها بالفلسفة الاغريقية » وكتاب « تاريخ الأخلاق » وغيرهما من البحوث القيمة . وكنا بحاجة حقًّا الى كتاب في ابن رشد يبين الطلاب على دراسته بعد أن فقد كتاب فرح انطون ، سيما ان المستشرقين إجمالاً يعنون بابن رشد شارح أرسطو أكثر من عنايتهم بمحاولته التوفيق بين الفلسفة والدين ، تلك المحاولة التي قال ليون جوتييه بحق أنها « معقد الطرافة في الفلسفة الاسلامية » (ص ٣١) والتي لم يوفق هذا المستشرق الى عرضها عرضاً شاملاً . وقد جعل منها حضرة المؤلف موضوع كتابه بعد الترجمة للفيلسوف والتأريخ لعصره ، تأريخاً مستوعباً في إجمال ، فقال ان « رسالة ابن رشد كانت الانتصاف للفلسفة بعد ما لقيت من الغزالي ، والتوفيق بينها وبين الدين » (٣٦) ثم حصر المسائل (٣٧) وعالجها واحدة بعد أخرى علاجاً منهجيًّا موثقاً وبأسلوب رصين واضح ، مستنداً الى المراجع الأصيلة الموثوق بها ، فكانت النتيجة أن ابن رشد لم ينلح في تبرئة الفلسفة من تهمة الكفر في المسائل الثلاث التي ذكرها الغزالي ، وهي القول بقدم العالم ، وقصر علم الله على الكليات ، وانكار بعث الأجساد ، وأنه من ثمت لم يتم له ما أراد من الانتصاف للفلسفة . وما كان هناك سوى طريق واحد للانتصاف لها ، هو تعديل مواقف الفلسفة اليونانية في هذه المسائل . واعتقادنا ان هذا التعديل ممكن بالفلسفة نفسها أي بالاستدلال العقلي فحسب ، وان الغزالي وفق اليه في كتاب « تهافت الفلاسفة » فكان أكثر حرية وأكثر ابتكاراً من الفلاسفة . وقد يكون لمحنة المنية على الفلسفة نصيب كبير فيما أصابها من بعده في العالم الاسلامي . ولكن

هذه انه أراد الدفاع عن الدين ، وهذا حق له لا ينكره عليه أحد ، وانه ظن الفلسفة كلا لا يتجزأ فاعتبرها عدوة الدين ، وهذا ظن وصل اليه من الفلاسفة أنفسهم الذين اقتصروا على ترديد أقوال اليونان معتقدين انها كالبنيان المرصوص لا يمس حجر منه إلا انهار كله .

هذا ، ومن الحق أن نشير إلى الفصل الذي عقده لبيان أثر ابن رشد الفيلسوف من بعده في الشرق والغرب ، وبيّن فيه في استقراء العوامل التي من أجلها لم ينتفع الشرق بمجهوده في سبيل الفلسفة والتوفيق بينها وبين الدين ، بينما كان أثره في الغرب كبيراً وعظيماً حتى كان كبار مفكريه يختصون من أجله .

وأخيراً ينبهنا الاستاذ المؤلف الى ان كتابه ليس « رسالة خاصة عن ابن رشد وفلسفته » (٩٨) ، ولعله مقبل هذه الأيام على هذه الرسالة الخاصة كما نرجو ، فان ابن رشد حقيق بدراسة مفصلة عميقة ، والمؤلف قمين بالقيام بها .

يوسف كرم

* * *

[المقتطف] — نعقب برأي المقتطف في هذا الكتاب ، فقد رأينا فيه أشياء لا ينبغي أن تفلت من حلقة النقد في عصرنا هذا .

أصدر الامام المحدّث الفقيه ابو عمر تقي الدين الشهرزوري المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ . فتوى بتحريم المنطق والفلسفة ، فكان لهذه الفتوى خطر وسلطان ظلا قرونين دهراً طويلاً . سئل عن حكم الله فيمن يشتغل بكتب ابن سينا وتصانيفه فقال : « من فعل ذلك فقد غدر بدينه وتعرّض للفتنة العظمى » . لأن ابن سينا « لم يكن من العلماء ، بل كان من شياطين الانس »

وفي فتوى أخرى يقول : « إن الفلسفة أس السفه والانحلال ، ومادّة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة ، ومن تفلسف فقد عميت بصيرته عن محاسن الشريعة ، ومن تلبّس بها تعليماً وتعلّماً فارقه الوقار والحرمان ، واستحوذ عليه الشيطان » — وقضى بأن الواجب على السلطان أن يعرض من ظهر منهم اعتقاد الفلاسفة على السيف أو الاسلام ، لتخمد نارهم ، وتمحى آثارهم » .

كانت هذه هي روح الدين في عصر ابن رشد ، وإن أردت أن تخفف شيئاً من حدّة القول فقل كانت هذه هي روح رجال الدين ، وهي أشبه بالروح التي أملت على النصارى في العصور الوسطى أن يضعوا نظاماً يقال له نظام الفهرست الذي يتضمن الكتب التي يحظر على المؤمنين من النصارى قراءتها ، وكان منها كتب كوبرنيكوس وغليليو وجوردانو برونو وغيرهم

تلك إذن كانت روح العصر التي أحاطت بابن رشد ، وهي روح عتية قاسية لا تترك من أثر لروح التفكير الحر ، بل لروح الاسلام ذاته الذي حضَّ على اطلاق الفكر اطلاقاً سوَّد فيه الارادة البشرية تسويداً قد يضيق به بعض الظلاميين من أهل زماننا هذا ، على النقيض مما جاء في القرآن وآيته العظمى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

من الظلم إن نسوق النقد في آثار الماضي فنقيسها على حالات عصرنا . وللنقد ثلاثة أساليب تخضع لها الآراء الفلسفية ، بل وكل الآراء والأساسيات التي تنزع إلى التأمل . فجمهورية أفلاطون بما فيها من ألوان الرأي وضروب النظر ، يمكن أن يخضعها الناقد جميعاً إلى هذه الأساليب ليكشف عما فيها من الخطأ والصواب . وهذه الأساليب هي :

الأسلوب المذهبي . وهو طريقة للحكم في مستفادات العقل الانساني ، وان بعدت عن فكر الناقد وعصره ، بمقتضى تلاؤمها وموافقتها للمبادىء التي قال بها باكون او اسبينوزا او هيجل او ميل ، مقيسة على أفضل ما يتعلق به الناقد من المنجهات العقلية .

ثم الأسلوب الانتقائي او التلفيقي او التوفيقي : وهو أسلوب يرمي إلى ان ينتقي الناقد من المذاهب المتباينة او المتعارضة ، ذرورات الحق المتناثرة في ثناياها ، بحسب ما يراه منها حقاً . وهو اسلوب يشيع في العصور التي تنوى فيها نزعة القراءة وتتسع فيها المعلومات ويكثر شحن الأذهان بالآراء والفكرات ، ولكن يندر أن يكون للمعلومات المستجمعة على هذه الصورة قوة أولية خاصة بها . ومثلها مذهب الأفلاطونية الجديدة كما عرف في مدرسة الاسكندرية في القرن الثالث الميلادي ، أو كما عاش في فلورنسا في القرن الخامس عشر . وأهم نقائص هذا الأسلوب الرسيسة فيه ، هي نزعته الى تشويه المذهب الأصلي الذي يدعي أهل هذا الاسلوب انهم يعملون على تبيانه وجلاء غوامضه ، حتى يمكن بذلك ان يساقش أو يؤلف بين أحسن ما فيه ، وبين العناصر الأولية في نظام فلسفي آخر مسلَّم وموثوق به من ناحية الناقد .

هذان أسلوبان نقديان نحَّيا الطريق في القرن العشرين ، بتأثير نظرية هيجل الثابتة التي كوَّنها في ما دعاه « روح العصر » الدائمة التغير المستمرَّة الفيض والتدفق ، لأسلوب ثالث في النقد ، هو الأسلوب التاريخي . وهو أسلوب يحملنا على ان نرد المذهب الذي نكب على نقده او الأثر الفلسفي الذي اخذ البنا من غلظات الماضي المجيد ، كجمهورية أفلاطون مثلاً ، بقدر المستطاع وجهد ما يصل الجهد ، الى مجموعة الحالات العقلية والاجتماعية والمادية التي أحاطت به حال نشوئه ، إذا ما أردنا صادقين أن نفهمه ونفقه فيه . ومن هنالك يضع مسائل افتراضية نستطيع بقوتها أن نحكم من مازيقها من أشياء العقل أسوية هي أم غير سوية ،

لدى أول دَسل نحصره فيها، كما أشرنا بمعنى يقبله العقل من ناحية أصلها وكيفية نشوئها.

أول هذه المسائل اعتقادنا بأن لكل عصر عبقرية خاصة به، أشبه شيء بعبقرية الأفراد، وان لكل عصر صورة عامة او « طابع عام » يستمد من الحالات التي تدمغ كل ما ينتج في ذلك العصر من عمل او فن او تجديد او تأمل او دين او اخلاق؛ بل ويدمغ وجوه الناس انفسهم، وانه ما من شيء استخلص الانسان من طبيعة نفسه، يمكن ان يُفهم حق الفهم ويدرك حق الادراك، الا في عصره الذي نشأ فيه، ومن بين نوعه الأصيل الذي خرجه من تصاعيف تلك الحركة الدائمة التي يختص بها هذا النظام الدنيوي؛ وان أسمى ما ينبغي أن يتعرّف اليه من يتصدّى لدرس المذاهب الفلسفية، انما هو تسمية « الملكة التاريخية » في نفسه.

إن كل شيء في الوجود هو مقولة منطقية قائمة بذاتها من مقولات الضرورة القاسرة. لذلك نرى أن العقائد مهما ضربت في الخيال، ومشت مع التصور نصرف، كشيوعية أفلاطون مثلاً، أو تأميمية بن رشد، انما تقع على أصولها الطبيعية، إذا ما رددتها الى تلك المقولات. وما نقصد بمقولات الضرورة الا الحالات التي أحاطت بها، والتي لم تخرج تلك العقائد عن أن تكون جزءًا منها، ونبذة من مجموعها.

***

وإذن فلقد نظلم ابن رشد أبين الظلم وننصف معه كل انصاف، إذا لم نمض في نظر مذهبه محيطين بحالات عصره متفهمين لجملة الحالات التي قامت في بيئته حتى نستطيع أن ندرك طرفاً من ذلك التضارب الذي شاع في مذهبه تلقاء التوفيق بين الشريعة والحكمة؛ حتى لقد انتهى الى القول بأن الشرع شرعين، شرع لمن هو من حقه التأويل، وشرع لمن ليس من حقه ذلك، كل هذا تحت تأثير مثل تلك الفتوى التي أصدرها الشهرزوري في عصره كما سنرى في سياق نقدنا هذا. بل نقول، ونحن على يقين، أن ابن رشد كان صحية عصره. فان الذي يشتغل بمنطق أرسطوطاليس ويعلق على كتبه، لا شك يأبى عليه ذلك المنطق كما يأبى عليه عقله الممتاز، أن يقع في مثل ما وقع فيه ابن رشد من تضارب في الرأي وضعف في التدليل، عندما تكلم في ضرورة التأويل، تأويل الشرع ليسير في ركاب الحكمة. هذه نظريتنا في ابن رشد، نظرية تقوم على أن مذهبه في التأويل هو نتيجة عصره لا نتاج عقله، هو مستفاد الحالات التي قامت في بيئته، لا مستفاد عقيدته الحقيقية. وانما هو في ذلك منظر الى القول بتعليل يستند اليه في اشتغاله بالحكمة، يبرر به عند أهل عصره موقفه من الاخذ بعلم اليونان وحكمتهم. فلجأ الى التعمل، واصطناع مذهب

ل ، وهو يعلم أن مذهبه فيه سادة يستند اليها في اشتغاله بالحكمة . هو مسألة ظاهرية وراءها قصداً يعنيه « روح عصره » أن يجاهر به . وعلى هذا الرأي ينمضي في ن رشد لا كما صوّره الاستاذ الفاضل مؤلف الكتاب .

ول نقد توجهه إلى هذا الكتاب ان المؤلف لم يتخذ الملكة التاريخية أساساً لعرض ابن رشد . بل انه وجه كل همّه إلى مقابلته بالغزالي في تهافت الفلاسفة ، متخذاً رقف خصمه أداة لعرض مذهبه ، من غير أن يحاول الالمام بشيء من الاسباب التي ت ابن رشد الى ركوب ذلك الركب الخشن ، مركب القول بتأويل الشرع ، ل الحكمة .

لمصري كيف يستطيع فاقد يحاول نقد ابن رشد نقداً قائماً على مقتضيات « الملكة نية » أن يعلل السبب في أن يركب هذا الفيلسوف ذلك الركب الخشن ، لو لم يقم من ومن حوله من يقول « السيف أو الاسلام » لمن يظهر منه اعتقاد الفلاسفة ! وأي كان يحمل ذلك الفيلسوف العبقري على أن يكتب « تهافت التهافت » وهو يعلم ان ما كتب « تهافت الفلاسفة » إلاّ متحاملاً على أهل الحكمة ، وانه لم يقصد بهم إلاّ لسمعة وإغراء الجماهير بهم ، وإيقاظ روح الفتنة الدينية . وإلاّ فاذا يكون علم الكلام ي ، إذا أخرجنا منه مبادئ الحكمة اليونانية ، ومخاصة قضايا المنطق كما وضعه و ؟ ولكن هل يستطيع ابن رشد أن يقول ان علم الكلام الاسلامي هو حكمة ة في قالب اسلامي ؟ لا شك في أن ابن رشد كان يعلم هذا حق العلم ، ويدرك حق ك ، ولو انه لم يتنبه شيئاً من ريح الحرية الفكرية في جوه الذي احتواه ، إذن لما فه بكلمة واحدة رد بها على الغزالي . ولكن « السيف أو الاسلام » ! ذلك هو الذي احتمى وراءه كتابه « فصل المقال » ، والذي حمله على أن يقول بالتأويل ، ذلك توازن الكفتين ، كفة الشرع ، وكفة الحكمة . فذلك دينه بحكم البيئة ، وتلك بحكم صناعة .

ذا وحده نستطيع أن نرد قول المؤلف الفاضل إنّ ... « الاحساس بالحاجة إلى ن بين الفلسفة والحكمة والشريعة عاطفة طبيعية يحس بها كل من عني بالبحث في الناحيتين . ومحاولة هذا التوفيق تعتبر إلى حدّ ما واجباً لازم لأدائه وأمراً يسابق يطلب ذلك من صاحب العقيدة التي لها قداستها في رأيه . وذلك لا أكثر من عمل لح » (ص ٣٦) .

ليس هناك من شيء يقال له « عاطفة طبيعية » تدعو الى التوفيق بين الفلسفة والحكمة

أما ذلك الاحساس عند ابن رشد فكان ضرورة أملتها عليه قاعدة « السيف أو الاسلام ». وهي قاعدة لا تترك للحكمة مجالاً للحياة إلاّ بالتزلف للشريعة . أما في عصرنا هذا فليس لهذا الاحساس من وجود البتة . فإما الشريعة ، وإما الحكمة . يختار بينهما العقل لأنه حرّ تحييه روح العصر وقوانينه في أن يفكر كيف يشاء وأن يؤيد ما يشاء أو ينفي ما يشاء بغير حساب . ولو ان ابن رشد قد بعث اليوم ويعلم أن قاعدة « السيف أو الاسلام » قد دالت دولتها ، وانتا نتفكر في خلق السماوات والارض بعقول حرّة طليقة من قيود عصره ، إذن لقال بأن ديدنه الحكمة ، وظلّ مع ذلك مسلماً له ما لبقية المسلمين وعليه ما عليهم .

يجري ذلك المجرى قول المؤلف الفاضل (ص ٣٣) — « واذا كانت محاولة التوفيق بين الوحي والعقل ، مما لا يجد منه بُدّاً كل من يشتغل بالفلسفة بصفة عامة ، فهي كذلك بالنسبة لفلاسفة الاسلام » .. والظاهر من هذا ان المؤلف قد انتقل بعقله وروحه إلى عصر ابن رشد ، فابتلعه ذلك العصر ، وترك من ورائه القرن العشرين بما فيه . ذلك بأن الفلسفة ليست ملزمة ولا مقصورة على أن تعاشي الوحي ، ولا الوحي مقصور على أن يعاشي الفلسفة . ولا كل مشتغل بالفلسفة مضطر الى التوفيق بينها وبين الوحي ، وان ما بين الفلسفة وبين الوحي ، لأقرب منه ما بين السماء والأرض . فالفلسفة منطق وفكر ، والوحي تسليم على طول الخط .

يؤيدنا في أن الفارق بين الفلسفة والوحي كبير قول المؤلف (ص ٣٥) إن الشقة بعيدة ... « بين الدين وفلسفة ارسطو في كثير من المسائل ، كمسألة الالوهية وتحديد صفات الله وخصائصه ، وخلق العالم وقدمه وحدوثه والعلة بينه وبين الله ، والنفس وخلودها » .

إن ابن رشد لم يذهب مذهب التأويل للتوفيق بين الشريعة والحكمة الاّ متضمناً مضطراً اتقاء لحالات قامت في عصره ، ومذهبه الفلسفي لا يستقر أتما كتب في هذه الناحية إن كان من الممكن استقراؤه على الاطلاق . يؤيدنا في هذا قول المؤلف (ص ٣٥) إن من العوامل التي اضطرت المشتغلين بالحكمة الى التوفيق بينها وبين الشريعة ... « مهاجمة كثير من رجال الدين للبحوث العلمية الحرة التي لا تتقيد في نتائجها بأية عقيدة مقررة سابقاً ، ويضاف الى هذا تعصب الشعب والأمراء أحياناً من المفكرين الأحرار مدفوعين بدوافع مختلفة لا تتصل بالدين في الحقيقة في أكثر الأحيان » .... وكذلك .... « الرغبة في أن يكونوا بمنجوة من هذا التعصب وآثاره ، ليستطيعوا العمل في هدوء ، وامّلاً بتحامي الناس حين يرون أو يظنون انهم على غير وفاق مع الشريعة والدين » ..... وأيّاً من حكمة . مهما كان نوعها أو منحاها ، تقيم تحت مثل هذه العوامل والمؤثرات ، ان تنتج من ثمرة حرة ولن

تكون سبيلاً الى معرفة حقيقة الرأي الذي قام في أذهان القائلين بها على وجه التحقيق والتمام . ولقد تتضح من نفس الأقوال التي ذهب إليها المؤلف ونقلناها آنفاً ، ان هؤلاء المؤولين كانوا في حقيقة أمرهم انتقائيين، والانتقائية أخطر الأساليب التي تعالج بها الحكمة فانها كما قلنا من قبل في تقسيم أساليب النقد ، تنزع دائماً إلى تشويه المذاهب الأصلية ، لأنها مهما أخذ فيها بالحيطة والحذر وموازنة الآراء ، لا بد من أن تعمد ، قصداً أو اتفاقاً ، إلى التضحية بناحية من الناحيتين التي يرغب في التوفيق بينهما . اما ابن رشد فقد ضحّى بالشريعة ، لأنه جعلها شريعتين، اذ إضطر أن يقول بأن الشرع ظاهر وباطن، لكل منهما أهله. وسبب ذلك أن الناس مختلفون في الفطر والعقول . (ص ٤٠) .... » ومن أجل ذلك يقسم فيلسوفنا قرطبة الناس ثلاث طوائف : الخطابيون وهم الكثرة الغالبة السهلة الاقتناع التي تصدق بالأدلة الخطابية ، وأهل الجدل — ومنهم المتكلمون — الذين ارتفعوا حقاً عن العامة ولكنهم لم يصلوا لمرتبة أهل البرهان الحقيقي ، والبرهانيون بطبائعهم الموازية وبالحكمة التي راضوا عقولهم عليها وأخذوا أنفسهم بها » (ص ٤١) ..... وتقسيم ابن رشد هذا تقسيم اجتهادي قد يستطيع أي انسان أن يجادله فيه بالتي هي أحسن وبالتي هي أسوأ ، مادام أن التقسيم اختياري لا ضابط له ولا قانون يحكمه ، لا من جهة العقل ولا جهة النقل

***

اما إذا أردنا أن نسوق القول في هذا النقد فنتناول كل ما عنّ لنا فيه من رأي لاحتجنا الى الكثير من الوقت والفراغ . ولكن حسبنا أن نكون بهذا قد عثرنا على مفتاح « ابن رشد » . وفي الكتاب مواضع عديدة تؤيد مذهبنا الذي نذهب إليه قد يعثر عليها القارىء الناقد بسهولة فلا داعي لنقلها هنا . ولا شك عندي في أن هذا الكتاب جديرٌ بالبحث والدرس ، وإن مؤلفه الفاضل ليستحق على ما بذل فيه من جهد أطيب الثناء .

بوشكين

أمير شعراء روسيا

تأليف نجاتي صدقي — مطبعة المعارف — ١٣٤ صفحة من القطع الصغير

كانت المكتبة العربية لا تسمع عن أدباء الروس إلاّ قليلاً ، ولا تعرف عنهم إلاّ أقل من القليل . على حين تَمُوجُ تلك المكتبة ذاتها بأسماء كثيرة في الأدبين الانجليزي والفرنسي .

وعلة ذلك يسيرة: فقد مكّن اتصال الشرق العربي بانجلترة وفرنسة من معرفة لغتي القوم ودراستهما والترجمة عنهما والتأثر بأدبهما الى حد نرى أثره واضحاً في انتاجنا الحديث.

أما الروس فقد كان دون الوصول الى ثقافتهم أهوال ... فاللغة مجهولة، والطريق إليهم نائية. ومذهبهم الجديد أراب فيهم الظنون فقطع ما بينهم وبين غيرهم.

ولا شك أن هذه القطيعة زادت من جهلنا بأدب القوم وزادت من تخلفنا عن متابعة لون من الادب له في العالم الواسع مكانته وقدره.

وهذا تخلف ما كان يجيزه جهلنا باللغة الروسية: فان كثيراً من روائعها قد ترجم الى الانجليزية والفرنسية. فكان من السهل أن يترجم إلى العربية حتى يتيح ذلك للأدب العربي المعاصر اطلاعاً واسعاً على ألوان شتى من الثقافة الأوربية.

والتقريب بين البلاد المتباينة ليس من عمل السياسيين أو الدبلوماسيين وحدهم. فقد يكون للأدباء من ذلك حظ عظيم. فحين يترجم أديب عربي لشاعر روسي مثلاً فانه لا شك يمهد طريقاً للتعارف الانساني بين بلاده وبلد المترجَم له. وتلك من خُطى التقارب بين الشعوب.

على أنك لو نظرت إلى المسألة من وجهة الأدب المحض لوجدت من العيب أن تجهل أمة أدب أمة: وأن تقف إحداهما من الأخرى بمنزل بعيد...

وفي الأدب الروسي — على قدر ما أعلم — روح انساني وفيه عاطفة بشرية وفيه حيوية انعكست على موقف الروس في دفاعهم المجيد عن أرضهم الحبيبة.

ولقد أتاحت الظروف لشاب عربي أن يتعلم الروسية في وطنها. وأن يظفر من أدبها بنصيب يجعله حريصاً على نقل أطايبه إلى لغته العربية. وفي ذلك الصنيع وفاء من ناحيتين: وفاء الكاتب لعربيته، ووفاؤه للغة ثقافته. وما أجمل الوفاء من الأدباء...

بدأ الأستاذ نجاتي صدقي — من أدباء فلسطين — بتعريف الشاعر الروسي وشكين الى قراء العربية تعريفاً بلغني اضواء ساطعة على هذا الشاعر الذي لم تظفر المكتبة العربية قبل ذلك بترجمة مفصلة لحياته. وإذا كان بوشكين يقول في قصيدته « التمثال » (سيبقى صيتي روسيا العظمى. وسيذكرني فيها كل لسان كائن: من صقلبي وفنلندي ومن توغوزي وكالميكي!) فان الأستاذ نجاتي صدقي يحق له أن يفتخر بأنه جعل صيت بوشكين يجتاز حدود الروسيا الى كل صقع عربي سيقع فيه حتماً هذا الكتاب.

ولما كانت حياة بوشكين تتصل بتاريخ روسيا القيصرية في القرن التاسع عشر فان الأستاذ نجاتي استطاع ان يعرض حياة القيصرية في ذلك العهد عرضاً يجعل القارىء على بينة من حياة الشعب وحياة البلاط. وهما حياتان كان من الضروري أن يظهر في خلالها شاعر مثل بوشكين استطاع أن يحس آلام الشعب واستطاع ان يرى بعينيه حياة البلاط وأن يسمع في أبهائها أنغام الترف والشبع على حساب أنات الجوع والحرمان ...

ولقد وفق المؤلف في تصوير نفسية بوشكين تصويراً يشيع في النفس الأبية المستنة أجل معاني الاباء والكرامة البشرية. والمؤلف لا يدع ظاهرة من ظواهر الكرامة والحرية عند بوشكين الا جلاها في ثوب أنيق فيه من الايحاء ما هو خليق بالكاتب الكريم. فهذا الشاعر الحر تفرض عليه وظيفة صغيرة تحت سلطان الكونت فورونتسوف المتكبر المتعجرف المزور من سلف. ولكن بوشكين نفسه نفس حرّ ترى المذلة كفراً. فيقابل سلطان المتعجرف بكرامة الكريم، وهنا تصطدم الكبرياء الكاذبة مع الحرية الأصيلة. وهنا تظهر ضآلة الموظف الكبير مع الموظف الصغير ... ولكن بوشكين يقف موقف الرجل بما تحمله الكلمة من معانٍ.

وينور الرئيس السلف فيرسل الشاعر الموظف في حملة لمقاومة الجراد ويكلفه كتابة تقرير عن مهمته ... كما يفعل الرؤساء المتعجرفون مع أباة الضيم في ذلك الزمان، وفي زماننا هذا. وفي كل زمن ومكان ... ولكن بوشكين يذهب في الحملة ويكتب التقرير في هذه الكلمات: « طارت الجرادة ثم هبطت، ثم طارت ثم هبطت، ثم أكلت، ثم طارت ! ... مع الاحترام. بوشكين »

***

وحياة بوشكين في هذا الكتاب النفيس هي قصة الأباء المنيع تجري في تاريخ شاعر لم يعرف الذلة في حياته القصيرة ولم يرد أن يعترف بها. فهو ثائر على الأرض وثائر على السماء ... ولقد كان هيّناً على بوشكين أن يصادف العيش المريء لو انه كان يسعى للعيش الدنيء. وما أشبهه في ذلك بامرىء القيس أمير الشعر العربي القديم حيث يقول.

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ـ ولم أطلب ـ قليل من المال

ختم المؤلف كتابه بقصيدتين من شعر بوشكين احداهما « النبي » والأخرى « الطلسم » ولو أنه أطال مدى الاختيار لأمتع القراء بكثير من شعر بوشكين، وهو شعر لم يُتح لكثير من قراء العربية أن يعرفوه، وقصيدتان من شعر شاعر كانت حياته كلها غناء وأنيناً

لا تكفيان للتعريف بأدبه . ولعلّ المؤلف يتدارك ذلك فيما هو بسبيله من تعريفنا بالأدب الروسيّ والأدباء الروس في تحراته المقبلة .

ولقد ازدحم الكتاب بأعلام روسية كثيرة لم يَدَعْها المؤلف من غير تعريف بها . فجعل في ذيل الكتاب فهرساً بها وعرَّفها الى القراء في إيجاز تعريفاً ينشر الضوء على مواقفها . والحق أن الكتاب ليس تاريخاً لشاعر فحسب ، ولكنه تاريخ موجز شائق لحياة روسيا في الثلث الأول من القرن التاسع عشر .

ولم يسلم الكتاب — على العناية بطبعه في دار المعارف — من أخطاء مطبعية كثيرة لم تتعودها من هذه الدار التي عُرفت باتقانها ودقتها . وليس يعذر أن الكتاب الشهري الصغير تخرجه العجلة على هذه الصورة . فنحن نقرأ مجموعة فلاماريون Flammarion الفرنسية المسلسلة ومجموعة The Kings Treasuries الانجليزية فلا نجد فيها خطأ واحداً .

والحق أن النفس العربية الظامئة الى الحرية في عالم لا تصح فيه الحياة إلاّ للأحرار لتستقبل هذا الكتاب وهي مشتاقة الى الحرية التي هي من أصول الطبع العربي .

ولقد أنصف الأستاذ نجاتي صدقي حين استهل انتاجه الأدبي بهذه الصفحات المنطوية على كثير من مبادىء الحرية الانسانية عند شاعر حر كبير . فنهنئه بما أخرج وننتظر من عمله الجديد في عالم الأدب الروسي خيراً كثيراً .

محمد عبد الغني حسن

• كتاب الاغاني • تأليف أبي الفرج الاصفهاني

٢٠ × ٢٨ سم ٤٨٧ ص دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٨

صدر الجزء الحادي عشر من كتاب الأغاني الجليل الحافل بعد ارتقاب طويل كاد يورث اليأس في نفوس القيّمين على عيون الأدب العربي القديم . وفي هذا الجزء اخبار النابغة وتسيه والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وأوس بن حجر وعائشة بنت طلحة وعمرو بن شاس والاقيشر وغنى بني تغلب وأبي النضير والعبلي وأبي جلدة وحلوية ثم ذكر اتصال الجهال بين جرير والأخطل ، ومقتل زهير بن جذيمة ، ومقتل خالد بن جعفر ، وخبر الحارث وعمرو بن الاضبط ، وتوبة بن الحمير مع ليلى وذكر فضله . ويلي ذلك الصادر المختلفة التي عودتنا دار الكتب وضعها وضعاً محكماً .

باب الأخبار العلمية

من معجزات العلوم والفنون

كيف تدور محركات قاذفات القنابل

تتسنى ادارة محركات القلاع الطائرة بكباس هوائي توبيني ايجابي اخترع لهذه الغاية . وهو يدار باطلاق غازات المحرك ، وهذا الكباس هو الذي يكبس الهواء القليل الكثافة في مخزن الهواء حيث يمزج بالبنزين . وعند ما تحين الفرصة للبنزين ، يتحوّل بالحرارة تحولاً وئيداً ، فائزاً في الفنطاس ، وذلك في المرتفعات الشاهقة .

قاذفات القنابل طراز B — ١٧ E

وقاذفات القنابل التي من طراز بوينج الجديد الموسوم برقم B ١٧ هي من أحدث النماذج وأكبرها حجماً وأشدها فتكاً بأعدائها . وقد بذت سابقاتها من النماذج . بل هي الانماط التي تقوم بانتاجها بالجملة مصانع أميركا . وفي سقف جسم كل منها وقمره رجان قويان للمدافع الصغيرة وبرج آخر في ذنبها . وسطوح ذنبها واسعة جداً قصد زيادة توازنها كطائرات الركاب .

التجارب الارضية تغني عن الجوية

وتقوم مصانع بوينج ودوجلاس وغيرها من المصانع بمقدار كبير من مباحثها الخاصة بالطبقة الضرورية الجوية (١) وذلك على سطح الأرض حقيقة ، إذ أن التجربة الوحيدة الجوية لطيران قاذفة القنابل التي من نوع القلاع الطائرة تبلغ نفقاتها زهاء ألف ريال في كل ساعة من زمن طيرانها الاختباري . ولهذا السبب تستغني الشركات عن التجارب الجوية بالتجارب الارضية بأن تستخدم حجراً كبيراً للضغط يفرغ منها الهواء تفريغاً مساوياً له تقريباً في الطبقات العليا من الجو ، حيث تستطيع ادارة الشركة توليد ضغط صناعي منخفض يعادل ما يوجد في ارتفاع ٦٠٠٠٠ قدم في

(١) طبقة جوية عليا متساوية الحرارة يتفاوت ارتفاعها في المنطقة المعتدلة من ٦ الى ٨ أميال ويبلغ علوها في المنطقة الاستوائية ١١ ميلا . وفي المنطقتين القطبيتين ٤ أميال . وتتألف منها طبقتان هما تروبوسفير وتروبوبوز

الجو . وفي وسعها أيضاً تبريد الحجر الى درجة ٧٠ تحت الصفر أو أقل منها . وقد أنشأ مصنع بوينج لذلك الغرض حجرة تشمل برودة الطبقة الطحروية وحالتها الجوية ، مبطنة بغلاف من الفلين تخانته ١٢ بوصة ، حيث يتاح خفض الضغط والحرارة الى درجتيهما في الارتفاع المنشود تماماً .

قاعة التبريد وحجرة الضغط

ومما يجدر ذكره أن قاعة التبريد التي انشأتها شركة بوينج بلغت من الرحابة مبلغاً يتاح فيه تجربة جهاز القيادة لمجموعة ذنب طائرة بحجمه الطبيعي . وفي قاعة دوجلاس الخاصة بالتبريد ، يرتدي عمال الباحث ثياباً من جلود الخيل مبطنة بالصوف ، تعلوها خوذ من معدن الالمونيوم ، ذات نوافذ من البلكسي جلاس[1] لا يخشاها الضباب حيث يزودون بتليفونات داخلية . واحتقاباً لتعرض العمال للاصابة بالالتهاب الرئوي ، تراهم يتنفسون هواء مدفئاً بأجسامهم أي بالزفير الذي يخرج من أنوفهم ، ثم يأبدد من العمامات التي في الخوذ التي تعلو رؤوسهم ولا يسمح لأي طيار منهم باختباره منفرداً في الصندوق الثلجي حيث تنخفض درجة حرارته تحت الصفر ، بل يعين له رقيب ليراقبه دائماً عن كثب وذلك من خارج تلك القاعة القارة عن طريق نافذة زجاجية مؤلفة من أربعة ألواح يعلو بعضها بعضاً ، وهذا إلى جانب مواصلة دراسة كيفية تأثر المواد التي تصنع منها القلاع الطائرة حينما تتوغل في طبقات الجو .

وما زالت الباحث دائرة أيضاً في أحوال الطيارين وطرق وقايتهم من الاخطار الجوية حيث لا بدَّ لهم من استنشاق الاكسيجين فان هم تركوا نوافذ الطائرة مفتوحة لكي يديروا منها مدافعهم ، فلا مناص لهم من لبس الثياب والقفافيز المدثأة بالكهربية لأن الطيار حينما يبلغ ارتفاع ٣٠٠٠٠ قدم عن سطح الأرض ، يفقد رشده في أقل من دقيقة واحدة ، هذا إذا حرم من الأوكسيجين . وإن حصل عليه حينئذٍ أخذ يألم من ضعف الضغط الجوي . ولذلك يحتاج الطيارون بغية القيام بأعمالهم على ما يرام عند صعودهم الى علو ٣٥٠٠٠ قدم أو ما يزيد عليها ، الى بعض أنواع الضغط الصناعي . ولعلَّ حجرة الضغط التي تستعملها عابرات الجو التي من طراز بوينج أصلح حل لهذه المعضلة . ومع ذلك فثمة عقبة أخرى هي خطر انخفاض ضغط الهواء بغتة عندما يشق جسم الطائرة بضربة أصيبها من عدوها .

عوض جندي

(١) البلكسي جلاس مادة تشبه الزجاج ولكنها أخف منه بيسير وهي أصلب منه وأقل تهشماً وتشظياً . وهي عازل خطير للتيار الكهربائي والبلاكسي جلاس من صنائع الصنوع الصناعية .

أقمشة غير منسوجة

من أخبار العلم الأميركية أن القوات الأميركية المسلحة تستعمل نوعاً جديداً ممتازاً من الأقمشة إسمه «ماسلين Masslin» وهو قماش غير منسوج يمكن انتاجه بعمل عجينة من تيلة القطن ومزجها بسائل لزج (لا يزال يُعدُّ سرّاً من أسرار الحرب) واتباع نظام يشبه إلى حدٍّ كبير النظام المتبع في صناعة الورق بآلاتٍ تشبه آلات هذه الصناعة. والأقمشة الناتجة عن هذه العملية، علاوة على كونها متينة ملساء، فإنها خفيفة الوزن إذ تزن القطعة التي طولها ١٤ ياردة إلى ١٦ ياردة رطلاً واحداً. وهي مع ذلك رخيصة لدرجة تبعث على الدهشة، سهلة التعقيم، تتشرّب السوائل بدرجةٍ عالية، وتصبح وهي مبللة أمتن منها وهي جافة.

ولما كان إنتاج هذا النوع من الأقمشة أسرع من انتاج الأقمشة المنسوجة وأيسر منها، وكانت خالية من السامّ والفتحات، فقد أصبحت تتفوّق على جميع أنواع الملابس المضادة للحوامض والحرائق والمواد الكيميائية الملتهبة. و «الماسلين» مستقبل مضمون، غير أن انتفاع الأهلين به رهين بانتهاء الحرب.

عصر العجائن

أصبح متجر السيارات في الولايات المتحدة الأميركية يعتقدون أن سيارات المستقبل ستوف تصنع من العجائن لأنها أخف وزناً وأكثر صلابة وأزهد قيمة وأجمل شكلاً من السيارات المدنيّة. والعجائن — كما يفهم من اسمها — تصنع من تيلة القطن أو لبّ الخشب أو الحشائش والأعشاب ويسهل تلوينها وتشكيلها تحت تأثير الضغط في قوالب خاصة.[1] وتمتلك شركة فورد للسيارات في الوقت الحالي امتياز إنتاج هياكل السيارات من العجائن. ويمكن الحصول على العجائن حالياً دون نصَب لأن مخلفات صناعة الورق وعيدان الذرة وكيزانها وتبن القمح والشعير ونشارة الخشب أصبحت اليوم أساساً لعجائن ذات مستقبل مضمون النجاح. كما أن مخلفات المذابح أصبحت تُعدُّ أساساً لنوع جديد من العجائن أثارت مميزاته الجمة اغتباط العلماء وترحيبهم.

وسيصبح في الامكان إنتاج طائرات مصنوعة هياكلها من العجائن لأن التجارب التي أجريت على هذا النوع من الطائرات نجحت نجاحاً باهراً وسيصبح من الميسور أيضاً إنتاج عدسات القراءة وزجاج النظارات الطبية غير القابلة للكسر من العجائن. وحتى الصحف أمكن طباعتها بواسطة حروف طباعة مصنوعة من العجائن كما أمكن إنتاج الأقمشة وصحاف المائدة وعدد لا يحصى من الأدوات التي نستعملها في حياتنا اليومية من العجائن الكيميائية.

وديع فلسطين

(١) راجع مقال «العجائن» للاستاذ ابن ابراهيم كحيل «مقتطف يونيو ١٩٤٤»

فهرس الجزء الخامس

من المجلد السادس بعد المائة

٤٢١ المشكلة الاقتصادية الكبرى : فؤاد صروف

٤٢٧ الخبز : فهمي عطا الله

٤٢٨ إذا (قصيدة) للشاعر رديارد كبلنج ، نظم محمد سعيد العامودي

٤٢٩ عالم المجهول : اسماعيل مظهر

٤٣٤ عن جزر الوشيان

٤٣٥ أصلاح الخط العربي : دكتور متى عقراوي

٤٤٣ تحقيق كتاب من نسب الى أمه من الشعراء : عبد السلام محمد هارون

٤٥٤ فيلسوف العرب والمعلم الثاني

٤٥٧ جنة الدوك

٤٦١ الزمان الوجودي

٤٦٢ المرأة والمجتمع : دكتور ابرهيم ناجي

٤٦٧ الاتحاد القومي : داؤه وأدواؤه : ادوار مرقص

٤٧٠ إعداد الفرد لتأسيس مجتمع صالح : منصور رجب

٤٧٤ ذوقوا فمثلكم

٤٧٦ عقدة الغربة : احمد لطفي السيد باشا

٤٧٧ الانجليزية الأساسية : سلامه موسى

٤٨١ الاتجاه الحضاري لديمقراطية الغد : صلاح الدين الشريف

٤٩١ مكتبة المقتطف : ابن رشد الفيلسوف . بوشكين امير الشعراء : محمد عبد الغني حسن . كتاب الاغاني .

٥٠١ بحر الاخبار العلمية : كيف تدور محركات قاذفات القنابل . قاذفات القنابل مراز B — ١٧ E . التجارب الارضية تقي عن جوية . قاعة التبريد وحجرة الضغط : عوض جندي . قنبلة غير منسوجة . عمر المعادن . وديع فلسطين

JANUARY — MAY 1945 يناير — مايو سنة ١٩٤٥

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها
الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر

أنشئت سنة ١٨٧٦

المجلد السادس بعد المائة

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by : Ismail Mazhar

VOL. 106

Founded 1876 By Drs Y. Sarruf & F. Nimr

فهرس المجلد السادس بعد المائة

من المقتطف

(ا)

ابو العلاء وبيئته ٢٥
الاتجاه الحضاري لديمقراطية الغد ٤٨١
الاتحاد القومي ذاؤه ونموه ٢٦٥ و٤٦٧
الاخلاق وتناسخ الشخصيات ٣٣٣
ادنجتن ارثر ٣١٣
الاديب وحرفته ٨٤
الاستمراك ٤٠
الاشعة السينية جهاز لها ٩٠
اعداد الفرد لتأسيس مجتمع صالح ٤٧٠
الآلات الحديثة تأثيرها ٧٠
الامتاع والمؤانسة ٧٠
في حياة الفلاح المصري ١٣٩
امريكا والعرب ١٥٥
الآكل نظامه ٤٠٤
الانجليزية الاساسية ٤٧٧
الاوراليوم رقم ٢٣٥ ٩٠

(ب)

البرد الحذر من أمراضه ١٧١
بلاد العرب العرب ٣٠٩
البنسلين ٩٢
بيفردج مشروعه ٢١١

(ت)

تاريخ يومك ما هو ١٦٥
التجارب الارضية تغني عن الجوية ٥٠١
تحقيق كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء ٤٤٣
التراب يغزو الموت ١٣٤
التليفون اللاسلكي ١٩٥
التمثيل نظارجي ٤٤

(ج)

جامعة الامم العربية ٣٠٥
الجذام والسل عقارها ١
جزر ٤٣٤
جزيرة العرب ارتيادها ٢٦٩
جنة الشوك ٤٥٧

(ح)

الحرب الحالية ثمراتها ٨٨
الحرية والعالم العربي ٢١٠
الاحلام والروح ٣٩١

(خ)

الخبز ٤٢٧
الخط العربي اصلاحه ٢٤٥، ٣٥٢، ٤٣٥
الخطايا العشر ٢٥٨

(د)

الدبلوماسية البابوية ٢٢٧
الدنيا قتها ١٥٢
الدولة الاتابكية ٤٠
الدولة مبدأ سيادتها وقضية السلم العالمي ١١٣

(ذ)

الذكر والانثى تعيينهما ٣٣٩
ذوقوا فتنتكم ٤٧٤

(ر)

الراديو المصور في السيارات ٢٩٤
الراديو والاجهزة الكهربية في القطارات ٢٩٤
رداء يقي من البلل ٩٢

(ز)

الزراعة أعظم اكتشاف فيها ١٩٢
الزراعة والريف في الولايات المتحدة ٢٣٤
الزمالقة وأصلها ٢٣٨
الزمان الوجودي ٤٦١

(س)

السجون وبلغتها ٢٣٩
السل والجذام علاجهما ١

سيوم الأفاعي والعقارب والبحث الحديث ١٩١
صنة مضت ٦١
السياسة الدولية طابعها في عالم ما بعد الحرب ٣٤٣
(ش)
الشعراء من نسب الى أمه ٤٤٣
الشيعي مذهبه قبيل الدولة الفاطمية وفي أيامها ٣٢٦
(ص)
الصاروخ سلاحه ٩٣
الصحاري المصرية كنوزها ٣١٧
الصحف الشرقية مجموعة فريدة منها ٩٤
الصخرة السوداء فوقها ١٤٤
صمام الأمن البشري ٢٩٥
الصمامات الكهربية ٢٩٣
(ض)
الضمان الاجتماعي ومشروع بيفردج ٢٢١
الضمان الاخلاقي ٣٨١
(ط)
الطب على عاتقه ١٧، ١٠٣، ٢٠٣
الطعام الصحي قواعده ٩٤
(ع)
العالم المجهول في قمة الدنيا ٤٠٣
عالم مجهول ٤٢٩
العجائن عصرها ٥٠٣
العرب وأميركا ١٥٥، ٢٨٧
عقدة التربية ٤٧٦
العلم الفائز ٩٧، ١٩٧، ٣٠١
العلم وتعيين النسل ٣٣٩
عين القيجة مياهها ٣٢
العيون الكهربية ٢٩٥
(ف)
الفيل ذلك المجهول ١١٨
(ق)
قصة:
بطاقات الوحدة ٣٢٠
عدو الكذب ٢٧٨
على المشنقة ٨
في الكوخ ١٢٢
لحظة الصفر ٢١٦
الواجب ٣٧٨
قصيدة:
إذا ٤٢٨
راقصة الفالس ٣٣٨
قيود ٢٥٣
قاذفة القنابل وحركاتها ٥٠١
قاذفات القنابل طراز ١٧— ٥١٠
قاعة التبريد والضغط ٥٠٢
القطن الطبيعي مستقبله ٩٣
قماش غير ملسوج ٥٠٣
قول حكيم ١٣٨
القلاع الطائرة ٤١٤
(ك)
كانت والعقل الجرماني ٣٥
الكتب:
ابن رشد الفيلسوف ٤٩١
أبو العلاء المعري ١٨٧
أبو نواس ٦٢
الاخلاق والواجبات ٢٩٢
أساطير الحب والجمال عند الأغريق ٤٠٩
الاسلام والنصرانية ٤١٣
الأغاني ٥٠٠
البستان ٢٩٠
بوشكين امير الشعراء ٤٩٧
تاريخ جوح ٧٠
تاريخ ما قبل التاريخ ١٨٨
التعليم الريفي والزراعي في تركيا الحديثة ٢٩٠
توفيق الحكيم ٤٠٦
جبران خليل جبران ٧٠
جمهورية اوسطفانس ٦٤
رابندرانات تاجور ٢٩١
رسالة الملائكة ٦٦
رسالة الهناء للمعري ٧٠
سحر أميركا ٤١٣
الشوامخ ٧١

صلاح الدين وأحمد شوقي ٢٨٩
ضجعة العروس ٤١٣
الطب التجريبي ١٨٣
العربية وشاعرها
الاكبر احمد شوقي ٢٨٩
عطر ودخان ٢٩٢
الغرر التاريخية في
الاسرة البازجية ٧٢
الفتح مستمر ١٨٢
فتوح افريقية والاندلس ٦٨
فيلسوف العرب والمعلم
الثاني ٤٥٤
قاعدة جلية في التوسل
والوسيلة ١٩٠
قصة البنيسلين ٧٢، ١٨٩
قلب عربي وعقل أوربي ٢٨٨
قواعد الطرموني: ٤١١
لا فوازيه ١٨٩
الليلة الثانية عشرة ٤١٣
محمد عبده ١٨٥، ٢٨٥
مقام ابراهيم ٢٨٩
الهجوم على أوربا ٤١٢
من حرب عالمية الى
سلم عالمي ١٨٤
كل مرحاً تعش طويلاً ١٦٤
كلة الشاهر ٣٦٢
الكهرباء وتشخيص
الامراض ١٤٨
الكهربيات مجاوبها
وموجات الضوء ٨٩

(ل)

لبنان ومصر ٢٨٣
لغز الاشعة الكونية ٩٩
لغز بدء الحياة ١٩٩
لغز التركام ١٠٢
لغز سر الخلية المتكاثرة ٣٠٤
لغز صلة المادة بالاشعاع ٣٠١
لغز عصر الجليد ٩٧
لغز الملاءمة في الاحياء ٢٠٢
لغز الورقة الخضراء ١٩٧

(م)

الناصر في بلاد الروم
والاسلام ٥٧
مأثورات ١٧٠و٢٠٩و٢٢٦
و٣٢٢ و٣٢٥ و٣٣٢ و٣٤١
و٣٤٦ و٣٥١ و٣٦١ و٣٧٧
و٣٨٠ و٣٩١ و٣٩٦
المجهار الكهربي ٨٩
المجلات:
الاديب عدد خاص بأبي
العلاء ٧٣
مادة تلميذ: لغويًا ٢٥٤
المذياع في المحطات ٢٩٥
المذهب الشيعي قبيل الدولة
الفاطمية وفي ايامها ٣٢٦
المرأة ثم المرأة ١٠٨
المرأة والمجتمع ٤٦٢
المسائل:
الاديب وحرفته ٨٤
المسرح:
صفق الجمهور فصفق النقاد ٧٤
مصابيح لاشارات المرور
في السيارات ٢٩٣
مصر القديمة والحروب
بين الشمال والجنوب ١٧٥
المغنيزيوم استخراجه
من البحر ٩١
الملاريا مقاومة مرضها ٤٠٠

(ن)

النبات الطبي ٢٨١و٣٩٧
النباتات المتطفلة ٢٧٤
النبات مفرداته ١٧٨
النظام الاقطاعي والملك
ايخ — ان — آتون ٣٨٥

(هـ)

هيارين ٨٩

(و)

الوجود وحدته، مذهب
أم فكرة؟ ١٦١
وصايا صحية ١٣٣

(ي)

يوملك ما هو تاريخه ١٦٥

المقتطف

تستهل مجلة «المقتطف» السنة السبعين من عمرها باشراف أحد منشئيها الأولين الدكتور فارس نمر باشا مدّ الله في عمره. وقد تولى تحريرها من هذا العدد الأستاذ اسماعيل مظهر، واعدّت لها المدّة لتكون كما كانت دائماً، مرجعاً لصفوة المثقفين في البلاد العربية، مضطلعة بنصيبها من أعباء التوجيه العلمي والفكري في العهد المقبل.

ونحن إذ نستهل هذه السنة نتوجه بالشكر الخالص لحضرة الدكتور بشر فارس الذي تولى الاشراف على تحريرها في سنة ١٩٤٤ واستحدث فيها باب التعريف والتنقيب وغايته «مراجعة بعض ما يخرج في العلم والادب والفن كتابة أو أداء، ونشر ما انطوى من الضنائن المخطوطة أو المهملة».

أما وقد آثر أن يعود الى عمله الادبي الخاص، فنرجو له التوفيق، وأن يوافي المقتطف في الحين بعد الحين، ببعض آثاره الادبية.